

شرح

دُرَّةُ الدُّرَرِ

في نظمِ مقاصدِ السُّورِ

للشيخ فاضل بن عبد الله بن أخوئيل الحسني

شرح

محمد بن سعيد ابن طوق المري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين^١.

أما بعد فقال أحمد بن أبي الحواري: «إني لأقرأ القرآن، وأنظر في آيه، فيحار عقلي فيها، وأعجب من حُفَاط القرآن كيف يهنيهم النوم ويسعهم أن يشتغلوا بشيء من الدنيا وهم يتلون كلام الرحمن! أما لو فهموا ما يتلون وعرفوا حَقَّه، وتلذذوا به، واستحلوا المُنَاجاة به، لذهب عنهم النوم؛ فرحًا بما رُزقوا» هكذا كانوا، كانوا يرون القرآن رسائل إليهم من ربهم، فكانوا يتدبرونها بالليل، ويتفقدونها في النهار، قال الله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١] قال مجاهد: «كل حجر يتفجر منه الماء أو يتشقق عن ماء أو يتردى من رأس جبل لمن خشية الله نزل بذلك القرآن» يريد قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

وقال تعالى: ﴿لَوْ أَن قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُتِبَ بِهِ الْمَوْتَى﴾ [الرعد: ٣١] يعني لو أن شيئاً يُقرأ فتزال به الجبال عن أماكنها أو تُشقق به الأرض فتستحيل أنهاراً وعيوناً، أو يقرأ على الموتى فيصирون أحياء؛ لكان هذا القرآن. وقد تكلم ابن القيم في بدائع الفوائد عن قوله تعالى: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ﴾ [غافر: ٣] واستنبط من هذه الآية جملاً من العلوم والمعارف، ثم قال: «هل خطر ببالك قط أن هذه الآية تتضمن هذه العلوم والمعارف مع كثرة قراءتك لها

^١ أصل هذه الأوراق شرح صوتي على درة الدرر وقد اطلع الشارح على هذه الأوراق قبل نشرها فراجعها وأعاد صياغة مواضع منها.

[رابط الشرح الصوتي](#)

[رابط آخر للشرح الصوتي](#)

[رابط الشرح على اليوتيوب](#)

[رابط النظم مفردا](#)

وسماعتك إياها، وهكذا سائر آيات القرآن، فما أشدّها من حسرة، وما أعظمها من غبنة، على من أفنى أوقاته في طلب العلم، ثم يخرج من الدنيا وما فهم حقائق القرآن، ولا باشر قلبه أسرارہ ومعانيه».

وذوق حلاوة القرآن والتلذذ به لا شك أنه لا يكون مع الجهل بمعانيه، قال ابن جرير الطبري: «عجبت لمن يقرأ القرآن وهو لا يعرف تفسيره كيف يلتذ بقراءته!». ومن أخصر الطرق التي تُعينك على تدبر القرآن وفهمه أن تعرف مقصود كل سورة أي الموضوع الذي تدور حوله آيات السورة، وهذا العلم -علم مقاصد السور- له أصل عند السلف، لذلك تجد أنهم كانوا يُسمون السور بأسماء تدل على موضوعها كتسمية النحل بسورة النعم، والحشر بسورة بني النضير، والتوبة بالفاضة، ثم وسّع الكلام فيه من بعدهم فأتوا من ذلك بما يبهّر الناظر ويسرّ خاطر، وستأتي الإشارة إلى شيء مما كُتب في ذلك إن شاء الله.

وهذه مدارس لدرّة من الدرر بل لدرّة الدرر في نظم مقاصد السور للشيخ فاضل بن عبدالله الحسني الشنقيطي حفظه الله وأدام نفعه وأجرى الخير على يديه. ومن أعظم مقاصد هذه المجالس: أن نُحيي في قلوبنا محبة كلام ربنا؛ لأن من أحب كلام الله أقبل عليه واشتغل به عما سواه، وليس شيء أنفع للقلب من قراءة القرآن بالتدبر والتفكر، فإنه كما يقول ابن القيم: «جامع لجميع منازل السائرين، وأحوال العاملين، ومقامات العارفين، ولو علم الناس ما في قراءة القرآن بالتدبر لاشتغلوا بها عن كل ما سواها ... فقراءة القرآن بالتفكر هي أصل صلاح القلب».

والمؤمن الصادق كلما ازداد علماً بالقرآن استبشر وفرح ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيْمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَرَزَدَتْهُمْ إِيْمَانًا وَهُمْ يُسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ * قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾

[يونس: ٥٧ - ٥٨].

قال النّاظم:

حمداً لمن قد أنزل القرآنا	على النبي مبيناً تبيانا
وأمر الأنام بالتدبر	لما حوى من حكم وعبر
ثم على خير الأنام أحمدا	أزكى الصّلاة والسلام أبدا
وآله وصحبه الأبرار	ما كور الليل على النهار

وبعد؛ ذا نظم مقاصد السور طَلَبَهُ مِنِّي طَلَابٌ غَرَرُ
ولسنتُ أهلاً لقصورِ باعي وقِلَّةِ العلمِ والإِطْلَاعِ
فلم أجذ مما طَلِبْتُ بُدًّا وقد شرعتُ فيه مُسْتَمِدًّا
من ربِّنا العونَ على الإِكمالِ والصِّدْقَ في الأقوالِ والأعمالِ
سميتُ ذا النِّظْمِ بِدُرَّةِ الدَّرَرِ مُبَيِّنًا فِيهِ مَقَاصِدَ السُّورِ

ابتدأ نظمه بحمد الله، والصلاة والسلام على نبيه صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه مدة تكوير الليل على النهار، قال تعالى: ﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾ [الزمر: ٥] أي: يُدْخِلُ كُلًّا مِنْهُمَا فِي الْآخِرِ وَيُجِلُّهُ مَحَلَّهُ. وقوله في هذه الديباجة:

حمداً لمن قد أنزل القرآننا على النبي مُبَيِّنًا تَبَيَّنَاتَا
وأمر الأنام بالتدبُّر لِمَا حَوَى مِنْ حَكَمٍ وَعِبَرِ

فيه إشارة لطيفة إلى مقصوده من النظم، وأنه متصل بالقرآن الكريم، وهو ما يُسمى ببراعة الاستهلال، وهي أن يذكر المُتَكَلِّمُ في ابتداء كلامه ما يُشعر بمقصوده. ثم تخلص إلى ذكر مقصوده وما حمله على نظمه فقال:

وبعد؛ ذا نظم مقاصد السور طَلَبَهُ مِنِّي طَلَابٌ غَرَرُ
ولسنتُ أهلاً لقصورِ باعي وقِلَّةِ العلمِ والإِطْلَاعِ
فلم أجذ مما طَلِبْتُ بُدًّا وقد شرعتُ فيه مُسْتَمِدًّا
من ربِّنا العونَ على الإِكمالِ والصِّدْقَ في الأقوالِ والأعمالِ
أجاب الله دعاءه، وحقق رجاءه، ثم سَمَى نظمه وبيَّن موضوعه فقال:
سميتُ ذا النِّظْمِ بِدُرَّةِ الدَّرَرِ مُبَيِّنًا فِيهِ مَقَاصِدَ السُّورِ

قال الناظم:

الكتب والمراجع التي اعتمدت عليها

مَمَّا اعْتَمَدْتُهُ بِلَا نِزَاعٍ	"مَصَاعِدُ النَّظَرِ" لِلْبِقَاعِيِّ
الْحَافِظُ الْمُؤَرِّخُ الْمَفْسِّرُ	سَلِيلُ إِبْرَاهِيمَ نَجْلِ عُمَرَ
الشَّافِعِيُّ مَنْ عَلَتْ صِفَاتُهُ	بِالْعِلْمِ وَالْحِفْظِ، وَمَنْ وَفَّاتُهُ
عَامَ ثَمَانٍ مِئَةٍ وَخَمْسَةِ	مَعَ ثَمَانِينَ خَلَّتْ لِلْهَجَرَةِ
كَذَا كِتَابُ ذِي الثُّقَى مُحَمَّدٌ	سَلِيلُ إِبْرَاهِيمَ يُنْمِي لِلْحَمْدِ
مَنْ عِلْمُهُ لَهُ اشْتِهَارٌ وَانْتِشَارٌ	وَمَنْ بَنُورِ عِلْمِهِ الزُّلْفَى اسْتِنَارُ
أَعْنِي "لَطَائِفَ مِنَ التَّفْسِيرِ"	لَهُ مِنْ "التَّحْرِيرِ وَالتَّنْوِيرِ"
"مَخْتَصَرُ التَّفْسِيرِ" هَكَذَا إِلَيْهِ	أَرْجِعُ دَوْمًا وَأَعُولُ عَلَيْهِ
وَرُبَّمَا لَابَنَ كَثِيرٍ أَرْجِعُ	وَابْنَ جُزَيٍّ وَهُوَ نِعَمَ الْمَرْجِعِ

ذكر الناظم -وفقه الله- في هذه الأبيات الكتب والمراجع التي اعتمد عليها.
أول ما ذكره كتاب **مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور** للإمام الحافظ المؤرخ المفسر برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي الشافعي المتوفى سنة خمس وثمانين وثمان مئة. هذا قوله:

مَمَّا اعْتَمَدْتُهُ بِلَا نِزَاعٍ	مَصَاعِدُ النَّظَرِ لِلْبِقَاعِيِّ
الْحَافِظُ الْمُؤَرِّخُ الْمَفْسِّرُ	سَلِيلُ إِبْرَاهِيمَ نَجْلِ عُمَرَ
الشَّافِعِيُّ مَنْ عَلَتْ صِفَاتُهُ	بِالْعِلْمِ وَالْحِفْظِ وَمَنْ وَفَّاتُهُ
عَامَ ثَمَانٍ مِئَةٍ وَخَمْسَةِ	مَعَ ثَمَانِينَ خَلَّتْ لِلْهَجَرَةِ

وثاني ما ذكره كتاب الشيخ محمد بن إبراهيم الحمد -حفظه الله- واسمه: **لطائف من تفسير التحرير والتنوير** وكتاب التحرير والتنوير للشيخ الطاهر ابن عاشور منهل رقراق، وسلسبيل دفاق، إذا رأيته قلت: كم ترك الأول للآخر، ومن فضله أنه التزم في مقدمة تفسيره ألا يغادر سورة إلا بين ما أحاط به من أغراضها، وقد وفى بذلك وأجاد،

بل أربى على الإجادة، فصدر كل سورة ببيان أغراضها وما تشتمل عليه من مقاصد بإيجاز وافٍ وتحرير عال يدل على اتساعه وطول باعه؛ ولكونه تفسيرًا مطولًا يقع في ثلاثين جزءًا وصفحاته تزيد على عشرة آلاف رأى الشيخ محمد بن إبراهيم الحمد - حفظه الله- أن يستخرج بعض اللطائف الرائعة واللفقات البارعة التي احتوى عليها تفسيره، وقد ضمن هذه اللطائف أغراض السور فنقلها من كتاب التحرير والتنوير كاملةً في كتاب اللطائف، ثم إنه رأى بعد أن يفرد تلك الأغراض في كتاب فأفرد لها في كتاب اسمه **أغراض السور في تفسير التحرير والتنوير** هذا قوله:

كذا كتابُ ذي الثُّقى محمدٌ سليلُ إبراهيمَ يُنمى للحمْدِ

مَنْ علمُهُ له اشْتِهَارٌ وانتِشَارٌ وَمَنْ بَنُورِ علمِهِ الزُّلْفَى استنارُ

هو من أهل محافظة الزُّلفى.

(**أعني لطائف من التفسير**) برفع لطائف على الحكاية (**له من التحرير والتنوير**).
وثالث ما ذكره كتاب **المختصر في تفسير القرآن الكريم** صنفه جماعة من علماء التفسير بإشراف مركز تفسير للدراسات القرآنية، وقد كتب مقاصد السور في هذا التفسير الشيخ محمد بن عبدالله الربيعه حفظه الله وهذا قوله:

مختصرُ التفسير هكذا إليه أرجعُ دومًا وأعولُ عليه

ثم ذكر أنه ربما رجع إلى كتاب **تفسير القرآن العظيم** لفقيه المفسرين ومفسر المحدثين الإمام ابن كثير -رحمه الله تعالى- وهو من أحسن كتب التفسير وأنفعها وأكثرها انتشارًا، وثناء العلماء على هذا الكتاب ومؤلفه مشهورٌ معلومٌ، وربما رجع إلى تفسير **التسهيل لعلوم التنزيل** للعلامة المفسر محمد بن أحمد بن جزي الكلبي الأندلسي الغرناطي وقد سلك فيه مسلك الاختصار مع الاستيعاب فجاء وجيزًا جامعًا، وقد أجاد ابن جزي في توظيف النحو والصرف والبلاغة وأصول الفقه في التفسير، فكتابه هذا تطبيق عملي لهذه العلوم يُنمى ملكة طالب العلم فيها، وأكثر ما اعتمد عليه في تفسيره المحررُ الوجيزُ لابن عطية والكشافُ للزمخشري فالدارس لكتابه كأنه قرأ صفوة هذين التفسيرين، وقد قدّم ابن جزي كتابه هذا بمقدمتين: الأولى: في علوم القرآن. والثانية: في الغريب. وكل واحدة منهما تصلح أن تكون كتاب مستقلًا في فنّها. هذا قوله:

ورُبَّمَا لابن كثيرٍ أرجعُ وابنِ جُزَيٍّ وهو نِعَمَ المرجعِ

قال الناظم:

لمحة عن السور المكية والمدنية وذكر الفرق بينهما

وكلُّ ما نزلَ قبلَ الهجرةِ على النَّبيِّ ولو بغيرِ مَكَّةِ
فسَمِّه بالسُّورِ المَكِّيَّةِ وغيرُهُ لو بِسُوى المدينةِ
نزلَ فهو المَدَنِي، وقد ذَكَرَ ذاكَ الإمامُ ابنُ جُزَيٍّ واشتَهَرَ
وأغلبُ المَكِّيِّ للعقائدِ يُثبِتُ معَ ردِّ دعاوي الجاحِدِ
كذا بيانُ قُدرةِ اللهِ على البعثِ والحسابِ جَلَّ وعلا
وقِصَصُ للأُممِ السابقةِ تُذَكِّرُ ذاتُ حِكْمَةٍ وَعِبْرَةٍ
والمَدَنِي يُقرِّرُ الأحكامَ معَ ذَكَرِ المَغَازِي والذِي فيها وَقَعَ
كذلكَ الرَّدُّ على أهلِ الكتابِ لجَدِّهِم سُبُلَ الرِّشَادِ والصَّوابِ
وإنَّهم ليعرفونَ حقًّا أنَّ مُحَمَّدًا رسولٌ صِدْقًا
وفَضَحَ المنافقينَ الأَغْيَا فَهُمُ لأهلِ الشِّرْكِ كانوا أُولِيَا
بِحَبِّهِم ونَصَرِهِم للكافرينَ وبُغْضِهِم وكَرهِهِم للمؤمنينَ
أَعَاذَنَا الإلهُ مِنْ حالٍ كِلا ذينَ الفَرِيقَيْنِ فَبئسَ هَؤُلا

ذكر في هذه الأبيات مسألتين:

الأولى: في التعريف بالمكي والمدني.

فالمكي: ما نزل قبل هجرة النبي ﷺ ولو بغير مكة.

والمدني: ما نزل بعد الهجرة ولو بغير المدينة.

فالمعتبر في التفريق بين المكي والمدني: زمان النزول، والهجرة هي الحد الفاصل

فما نزل قبلها فهو المكي، وما نزل بعدها فهو المدني.

مثلاً: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾

[المائدة: ٣]، هذه الآية مدنية مع أنها نزلت في حجة الوداع.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨] هذه الآية قالوا: إنها نزلت

عام الفتح بمكة في جوف الكعبة، وهي مع ذلك مدنية لكونها نزلت بعد الهجرة.

وهذا القول هو المشهور المعتمد في كتب علوم القرآن وعليه الجماهير، وهو

حاصر مطرد لذلك اقتصر عليه ابن جُزَي فلم يذكر غيره.
وهذا قول النَّازِم -وفقه الله-:

وَكُلُّ مَا نَزَلَ قَبْلَ الْهَجْرَةِ عَلَى النَّبِيِّ وَلَوْ بِغَيْرِ مَكَّةَ
فَسَمِّهِ بِالسُّورِ الْمَكِّيَّةِ وَغَيْرُهُ لَوْ بِسُورِ الْمَدِينَةِ
نَزَلَ فَهُوَ الْمَدَنِي، وَقَدْ ذَكَرَ ذَاكَ الْإِمَامُ ابْنُ جُزَيٍّ وَاشْتَهَرَ

ذكره في المقدمة الأولى لتفسيره وهي المقدمة المتعلقة بعلم القرآن في الباب الثاني منها، وذكر أنه وقعت آيات مدنية في سور مكية، ووقعت آيات مكية في سور مدنية وذلك قليل مختلف في أكثره.

ثم انتقل إلى المسألة الثانية وهي ما يُسمى في علوم القرآن بخصائص المكي والمدني ومميزاته الموضوعية، وابتدأ بخصائص المكي فقال:

وَأَغْلَبُ الْمَكِّيِّ لِلْعَقَائِدِ يُثْبِتُ مَعَ رَدِّ دَعَاوِي الْجَاهِدِ

النَّبِيِّ ﷺ في مكة كان يخاطب مجتمعًا وثنيًا قد فشا فيه الشرك وانتشرت فيه عبادة الأصنام، ولم يتلق هذا المجتمع دعوة الإسلام بالقبول بل حاربها واضطهد أتباعها، لذا كان من خصائص السور المكية تأسيس العقيدة بالدعوة إلى عبادة الله وحده وإيراد الحجج والبراهين على ذلك، ورد دعاوى الجاحدين بالبراهين العقلية والآيات الكونية، هذا قوله:

وَأَغْلَبُ الْمَكِّيِّ لِلْعَقَائِدِ يُثْبِتُ مَعَ رَدِّ دَعَاوِي الْجَاهِدِ

ومن خصائصها كذلك: إثبات قدرة الله تعالى على البعث والجزاء، وذكر القيامة وأهوالها والنار وعذابها والجنة ونعيمها، هذا قوله:

كَذَا بَيَانُ قُدْرَةِ اللَّهِ عَلَى الْبَعْثِ وَالْحِسَابِ جَلٌّ وَعَلَا

ومن خصائصها كذلك: ذكر قصص الأنبياء والأمم السابقة زجرًا للمشركين حتى يعتبروا بمصير المكذبين قبلهم، وتسليّةً للنبي ﷺ والمؤمنين حتى يصبروا على أذى المشركين ويطمئنوا ويوقنوا بأن العقوبة لهم وأن الله ناصرهم، هذا قوله:

وَقِصَصُ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ تُذَكِّرُ ذَاتَ حِكْمَةٍ وَعِبْرَةٍ

ثم قال:

وَالْمَدَنِي يُقَرِّرُ الْأَحْكَامَ مَعَ ذِكْرِ الْمَغَازِي وَالَّذِي فِيهَا وَقَعَ

القرآن في المدينة يخاطب غالبًا مجتمعًا إسلاميًا، يأمرهم فينقادون، وينهاهم

فينتهون، لذا غلب تقرير الأحكام من عبادات ومعاملات، وذكرت فيه غزوات النبي ﷺ هذا قوله:

وَالْمَدَنِي يُقَرِّرُ الْأَحْكَامَ مَعَ ذِكْرِ الْمَغَازِي وَالَّذِي فِيهَا وَقَعَ

وقد عاش بين المسلمين طائفة من أهل الكتاب هم اليهود، فكانوا يكيدون للإسلام، ولأهله، فكشف القرآن سرائرهم وأبطل عقائدهم، ودعاهم إلى الإسلام بالحجة والبرهان، هذا قوله:

كَذَلِكَ الرَّدُّ عَلَى أَهْلِ الْكِتَابِ لَجَدِّهِمْ سُبُلَ الرَّشَادِ وَالصَّوَابِ

وَأَنَّهُمْ لَيَعْرِفُونَ حَقًّا أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولٌ صِدْقًا

نعم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦].

وقد نشأ في هذا المجتمع المدني طائفة من المنافقين الذين يُظهرون الإسلام ويُبطنون الكفر، ففضحهم القرآن وبين مكائدهم ومولاتهم للمشركين هذا قوله:

وَفَضَحَ الْمُنَافِقِينَ الْأَغْبِيَا فَهُمْ لِأَهْلِ الشِّرْكِ كَانُوا أَوْلِيَا

بِحَبِّهِمْ وَنَصَرِهِمْ لِلْكَافِرِينَ وَبُغْضِهِمْ وَكَرْهِهِمْ لِلْمُؤْمِنِينَ

أَعَاذَنَا إِلَهِ مِنْ حَالِ كِلَا ذَيْنِ الْفَرِيقَيْنِ فَبِئْسَ هَؤُلَا

أي الكفار والمنافقين.

قال الناظم:

مقصد الفاتحة

ومقصدُ الأم هو الثَّنا على إلهنا الرَّحمنِ جَلَّ وعلا
كذلك تحقيقُ التَّوجُّه له بكاملِ الطَّاعة -جلَّ- وحدهُ

مقصد سورة البقرة

رِفعةُ هذا الدِّينِ والقُرآنِ كذلك الإيمانُ للرَّحمنِ
والحذرَ الحذرَ من حال اليهودِ ومَن تنصَّرَ أولي نقضِ العُهودِ
ذا مقصدُ الزَّهراء، وحُكمُ الصَّلواتِ والصَّومِ والحجِّ وفضلُ الصَّدقاتِ
وحتَّ فيها ربُّنا على الدُّعا والصَّبرِ والإخلاصِ فيما شَرَعَا

مقصد سورة آل عمران

إن كَمالَ قدرةِ الرَّبِّ معَ الـ حتَّ على طاعته عز وجل
كذا الثَّباتُ على الإسلامِ ومع تفنيد كل الشُّبهاتِ والبدعِ
فكلُّها مقاصدٌ لآلِ عمران ذاتِ الحُسْنِ واللالِي

مقصد سورة النساء

تأديةُ الحقوقِ في النساءِ رَسَا للضُّعفاءِ واليتامى والنِّسَا
وحتَّ فيها ربُّنا ذو الفضلِ على اتِّباعِ أحمدٍ، والعدُلِ

مقصد سورة المائدة

قد حتَّ ربُّنا كثيرَ النعمةِ على الوفا بالعقدِ في المائدةِ
وجاء فيها للورى أحكامُ شَرعيَّةٌ كلُّ له إحكامُ
لأنَّها آخرُ ما قد أنزَلَا على النَّبيِّ الله جَلَّ وعلا
كما نهى فيها عن الشِّركِ به فَهُوَ فَرْدٌ ما له من مُشَبِّهٍ

مقصد سورة الأنعام

إِثْبَاتٌ وَحُدَانِيَّةُ الرَّبِّ الْجَلِيلِ مقصدُ الأنعامِ بساطعِ الدَّالِيلِ

لأنه الخالق وهو القاهر وعالمُ الغيب وهو القادرُ

مقصود سورة الفاتحة: تحقيق العبودية الخالصة لله تعالى، وهذه هي الغاية من خلق الخلق.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] تبعث في قلبك المحبة.

﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الفاتحة: ٣] تبعث في قلبك الرجاء.

﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] تبعث في قلبك الخوف.

وهذه الثلاثة هي أركان العبودية القلبية: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ هذه

المحبة ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا﴾ هذا الرجاء ﴿وَرَهَبًا﴾ هذا الخوف.

ثم قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ هذه أعظم غاية كيف أحقق العبودية؟ قال: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

[الفاتحة: ٥]، هذه أعظم وسيلة بوابة تحقيق العبودية الاستعانة بالله كيف أستعين بالله؟ سله

الهداية: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]. والصراط المستقيم هو هذا الدين.

ثم ذكر الجزاء: وأن من النَّاس من أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء

والصالحين، ومنهم المغضوب عليهم الذين عرفوا الحق ولم يتبعوه وهم اليهود، ومنهم

الضالون الذين فرطوا في طلب الحق فضلوا وعملوا بلا علم، وهم النصارى.

والعلم بالله والعلم بالدين أي الأوامر والنواهي والعلم بالجزاء هذه الثلاثة كل

موضوعات القرآن ترجع إليها، وقد اشتملت عليها سورة الفاتحة، ولهذا سُمِّيَتْ أمَّ

القرآن فهي جامعة لجميع معاني القرآن، وهذه الثلاثة: العلم بالله وبالدين وبالجزاء هي

العلم النافع، قال ابن القيم -رحمه الله-:

والعلم أقسامٌ ثلاث ما لها من رابعٍ والحق ذو تبيان

علمٌ بأوصافِ الإله وفعله وكذلك الأسماء للرحمن

والأمر والنهي الذي هو دينه وجزاؤه يومَ المعادِ الثاني

والكلُّ في القرآن والسنن التي جاءت عن المبعوث بالفرقان

وعلى قدر المقصود من كل سورة تكون عظمتها، فلا سورة في القرآن أعظم من

الفاتحة، لأنه لا مقصود أعظم من مقصودها.

قال: (ومقصدُ الأم) أي الفاتحة أم القرآن (هو) الواو هنا مُحَقَّقَةٌ لا تُشَدَّدُ [خلافًا لما

في المتن المنشور للمنظومة] (النَّشَأُ عَلَى إِلَهِنَا الرَّحْمَنِ جَلَّ وَعَلَا) كما تراه في أولها:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾
[الفاتحة: ٤].

(كذلك تحقيق التوجه له): ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] (بكمال الطاعة - جلّ - وحده).

في سورة الفاتحة قال تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، سورة البقرة شرحت هذا الصراط المستقيم، فشرحت الإسلام وحثت على الاستسلام، فهي سورة الإسلام والاستسلام، شرحت شريعة الإسلام من أولها إلى آخرها، تجد فيها الصلّاة والزكاة وآيات الصيام وآيات الحج، وتجد فيها النكاح والطلاق والعدة والرضاع والنفقات والبيع وأحكام الدين والإقراض والجهاد والقصاص والوصايا والأيمان والنذور والأطعمة، الخطاب الشرعي الطلبي جُلّه راجع إلى سورة البقرة، كما أن الخطاب الشرعي الخبري جُلّه راجع إلى المفصل من قاف إلى الناس، وحثت على الاستسلام لذلك قصة البقرة التي سُميت بها السورة ظهر فيها تعنت اليهود وعنادهم، وهذا مضادٌ للاستسلام انظر إلى قولهم لما أمرهم بذبح البقرة: ﴿اتَّخِذْنَا هُزُؤًا﴾ [البقرة: ٦٧]، ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ [البقرة: ٦٨]، ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لُونُهَا﴾ [البقرة: ٦٩]، ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا﴾ [البقرة: ٧٠] وهذه البقرة تُشبه العجل الذي عبده فهي بقرة لا فارض ولا بكرٌ عوان بين ذلك، لا مسنة ولا صغيرة بل وسطٌ بين ذلك، وهي صفراء فاقع لونها، وهي مدللة لا ذلولٌ تنثير الأرض ولا تسقي الحرث، فهي تُشبه العجل الذي عبده فالأمر بذبحها فيه اقتلاع للشرك من قلوبهم، وبرز فيها الحث على الاستسلام في قصة إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ [البقرة: ١٢٨]، ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ﴾ [البقرة: ١٣١]، ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢]، ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣] هذا كله حثٌّ على الاستسلام، فإبراهيم أبو الأنبياء صورة عملية للاستسلام، بخلاف اليهود الذين لم يستسلموا.

وفي آخرها برز الاستسلام ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٥]، ومن حقق الاستسلام لله تولاها الله ونصره ﴿أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦].
قال الناظم -وقفه الله-:

رفعة هذا الدين والقُرآن كذلك الإيمان للرحمن

تري في أولها سموّ هذا الدين الذي القرآن كتابه، فترى علو هديه: **﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾** [البقرة: ٢]، ولا ينتفع بهذا الكتاب إلا أهل الإيمان فنوهت الآيات بشأن الإيمان، وبينت الآيات أن أهل الإيمان هم المفلحون، ثم ذكر المشركون والمنافقون وقورعوا بالحجج الدامغة والبراهين الساطعة، ثم أطنبت الآيات في الحديث عن اليهود من قوله تعالى: **﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾** إلى رُبُع: **﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ﴾** [البقرة: ١٤٢] هذا كله خطاب لبني إسرائيل وهم اليهود، تارةً بذكر الإنعام عليهم، وتارةً بالتخويف، وتارةً بإقامة الحجة عليهم وتوبيخهم على سوء أعمالهم وذكر العقوبات التي عاقبهم الله بها، وفي ذلك التحذير من سلوك مسلكهم، وقد قرن بهم النصارى والمشركون في آيات من قوله تعالى: **﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾** [البقرة: ١٠٥] وآيات بعدها.

قال -وفقه الله-:

والحذرَ الحذرَ من حال اليهود ومَن تنصَّرَ أولي نقضِ العهود

ذا مقصدُ الزَّهْرَا، وحُكم الصلوات والصوم والحجّ وفضل الصدقات

البقرة وآل عمران تُسميان بالزهرأوين في صحيح مسلم: **((اقرأوا الزهراوين (البقرة وآل عمران))، (وحكم الصلوات والصوم والحج وفضل الصدقات) وغير ذلك من الأحكام فقد شرحت هذه السورة الإسلام كما سبق.**

وحتّ فيها ربُّنا على الدُّعَا والصَّبر والإخلاص فيما شَرَعَا

وكان في أثناء ذلك في الصورة مواضع شتّى من الحث على الدعاء في مثل قوله تعالى: **﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾** [البقرة: ١٨٦]، والحث على الصبر في مثل قوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾** [البقرة: ١٥٣]، والحث على الإخلاص في مواضع من مثل قوله تعالى: **﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾** [البقرة: ١٦٣]، **﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾** [البقرة: ٢٥٥].

وأما سورة آل عمران فإنها تكميلٌ لسورة البقرة، فيها بيان أن الإسلام هو الدين الحق: **﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾** [آل عمران: ١٩]، **﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾** [آل عمران: ٨٥] وفيها تثبيت المؤمنين، وكيف يحصل الثبات؟ يحصل الثبات إذا دُفعت الشبهات فكشفت السورة شبهة النصارى، في أولها قاعدة التعامل مع الشبهات، فذكرت الآيات المتشابهات والمحكمات، وأن المؤمن يرد المتشابه إلى المحكم، وأما من في قلبه

زيغ فيتبع المتشابه، وفيها دعاء الراسخين في العلم: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨]، ثم ابتدأ الرد على النصارى بعد ذلك بتقرير وحدانية الله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨] يقولون: إن عيسى - عليه السلام - إله؛ لأنه خلق بغير أب، آدم - عليه السلام - خلق من غير أب ولا أم ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩]، إن صح ادعاء النبوة والإلهية في عيسى - عليه السلام - فادعائها في آدم أولى، وهذا لاشك ينسف شبهتهم ويبين بطلان دعواهم، وكما دفعت الشبهات فقد حذرت من الشهوات: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ﴾ [آل عمران: ١٤] الآية. وفيها ذكر غزوة أحد في أكثر من خمسين آية من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٢١] وهذا يُناسب مقصد التثبيت.

قال - وفقه الله -:

إن كمال قدرة الرب مع الذل حث على طاعته عز وجل

جاء فيها بيان كمال قدرة الرب سبحانه وتعالى كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ * هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ٦].

ثم قال: (مع الحث على طاعته عز وجل) في مثل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [آل عمران: ١٥] في آيات.

كذا الثبات على الإسلام ومع تفنيد كل الشبهات والبدع

كما سبق السورة سورة تثبت للمؤمنين.

(ومع تفنيد كل الشبهات والبدع) فيها إبطال لشرك النصارى بكشف شبهاتهم وإبطال دعاويهم، ولاحظ أن سورة البقرة حذرت من المغضوب عليهم، وسورة آل عمران حذرت من الضالين، في سورة الفاتحة: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧] جاء تفصيل الرد على المغضوب عليهم في سورة البقرة. ﴿وَالضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧] جاء تفصيل الرد على الضالين في سورة آل عمران.

فكلها مقاصد لآل عمران ذات الحُسن واللآلي

سميت كما سبق مع البقرة بالزهر اوين لنورهما وهدايتهما وعظيم أجرهما، فهي كما قال: (ذات الحُسن واللآلي) سورتان منيرتان، لهما من أنوار التنزيل ما استحقا به أن تُسميا بالزهر اوين.

ثم سورة النساء فيها بيان الأحكام المتعلقة بالنساء واليتامى والضعفة، وأحكام الصّلات، عدلاً من الله تعالى ورحمة، من أول آية: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ [النساء: ١] أي اتقوا الأرحام أن تقطعوها، ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ [النساء: ٤]، ﴿وَأَتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ﴾ [النساء: ٦]، ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ [النساء: ١١] وهذه الآية تدل على أن الله تعالى أرحم بعباده من الوالدين، قال ابن كثير في تفسيره: "استنبط بعض الأذكياء من هذه الآية أنه تعالى أرحم بخلقه من الوالد بولده، حيث أوصى الوالدين بأولادهم فعلم أنه أرحم بهم منهم" كما جاء في الحديث: «**الله أرحم بعباده من هذه بولدها**» أرحم الناس بك والداك، والله تعالى يوصيهم بك، فهو أرحم بك منهما، وهكذا جاءت الآيات متعلقة بحقوق النساء والضعفة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا﴾ [النساء: ١٩]، ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ﴾ [النساء: ٣٤]، ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٣٥]، ﴿وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾ [النساء: ١٢٨]، حتى آيات الجهاد فيها ذكر المستضعفين: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ [النساء: ٧٥].

قال -وفقه الله-:

(تأدية الحقوق في النساء رسا) أي: ثبت (للضعفاء واليتامى والنساء)

وحتّ فيها ربنا ذو الفضل على اتباع أحمد، والعدل

حث على اتباعه -صلى الله عليه وسلم- في مواضع منها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥]، وحت على العدل في مواضع منها: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨].

ثم بعدها سورة المائدة وهي تكميل لباقي الأحكام: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، والمناسب لإكمال الدين الوفاء بعهد الله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١] وأعلى العقود العقد الذي بين العبد وبين خالقه، والوفاء به يكون بالالتزام بعبوديته، والقيام بها، وعدم انتقاص شيء من حقوقها، وتدخل في ذلك الحقوق مع الخلق، فسورة المائدة كملت باقي الأحكام، فيها ذكر حد الحراية وحد السرقة، وفيها التحريم النهائي للخمر، وفيها الأمر بتحكيم شرع الله: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ [المائدة: ٤٩]، وفيها التحذير من اتخاذ اليهود والنصارى أولياء: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ﴾، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِنْ

الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أُولِيَاءَ ﴿[المائدة: ٥٧]﴾، إِذَا لَمُنْ تَكُونُ الْوَلَايَةُ؟ قَالَ:
﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ [المائدة: ٥٥].
قال:

قد حث ربنا كثير النعمة على الوفا بالعقد في المائدة

كما سبق بيانه.

وجاء فيها للورى أحكام شرعية كل له إحكام

لأنها آخر ما قد أنزل على النبي الله جلّ وعلا

كما صح عن عائشة -رضي الله عنها- أنها قالت عن سورة المائدة: «أما إنها آخر سورة نزلت، فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه، وما وجدتم فيها من حرام فحرّموه» هذا قوله: (كلّ له إحكام) كل ما فيها محكم غير منسوخ.

كما نهى فيها عن الشرك به فهو فرد ما له من مشابه

نهى فيها عن الشرك في مواضع منها قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

ثم سورة الأنعام سورة مكية بعد هذه السور المدنية البقرة وآل عمران والنساء والمائدة، وقد تم بيان الدين والرد على شبهات اليهود والنصارى وتكميل الأحكام الشرعية فرجعت السور إلى تقرير أعظم مقصود وهو توحيد الله تعالى، وقد ثبت عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه قال: «نزلت سورة الأنعام بمكة ليلاً جملة حولها سبعون ألف يجارون حولها بالتسبيح».

في هذه السورة تقرير براهين التوحيد انظر من أول آية: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١] الذي خلق السماوات والأرض هو المستحق للعبادة، فالله خلق لكم السماوات والأرض، وجعل أي خلق لكم الظلمات والنور، ثم مع وضوح البراهين: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ مع هذا فالذين كفروا يسوون بالله غيره ويشركون به، فسورة الأنعام فيها براهين كثيرة منها: ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ١٢] ، ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ اتَّخَذُ وَلِيًّا فَأَطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [الأنعام: ١٤] ، ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكَمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ * فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَفْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [الأنعام: ٩٦] إلى آخر الآيات. وبرز فيها ربط الهداية بمشيئة الله ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهَدْيِ﴾ [الأنعام: ٣٥] ، ﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ

كُلَّ شَيْءٍ قَبْلًا أي: أمامهم يواجهونه ويعاينونه **﴿مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾** [الأنعام: ١١١]، **﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾** [الأنعام: ١٢٥]، **﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ * قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾** القاطعة التي تنقطع معها معاذيركم **﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾** [الأنعام: ١٤٩]، انظر كيف رُبِطَت الهداية بمشيئة الله تعالى، وانظر في آخرها: **﴿قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾** [الأنعام: ١٦٣]، هذه السورة افتتحت بالتوحيد واختمت بالتوحيد، وفيها جهالات المشركين في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله في بهيمة الأنعام، لذلك ورد عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه قال: **«إِذَا سَرَّكَ أَنْ تَعْلَمَ جَهْلُ الْعَرَبِ فَاقْرَأْ مَا فَوْقَ الثَّلَاثِينَ وَالْمِئَةِ مِنْ سُورَةِ الْأَنْعَامِ»**. ذكر الله تعالى كثيرًا من جهالاتهم **﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْتُ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بَزْعَمِهِمْ﴾** [الأنعام: ١٣٨] انظر ما يفعل الشرك بصاحبه، فهذا يدل على قُبْح الشرك، فالشرك يجعله يُحرم ما أحل الله.

قال -وفقه الله-:

إِبْثَاتٌ وَحِدَانِيَّةُ الرَّبِّ الْجَلِيلِ مَقْصَدُ الْأَنْعَامِ بِسَاطِعِ الدَّلِيلِ

لَأَنَّهُ الْخَالِقُ وَهُوَ الْقَاهِرُ وَعَالَمُ الْغَيْبِ وَهُوَ الْقَادِرُ

خلاصة الخلاصة: أن سورة الفاتحة مقصودها تحقيق إخلاص العبودية لله سبحانه وتعالى، والبقرة مقصودها شرح الإسلام والحث على الاستسلام، وآل عمران تكميلٌ لسورة البقرة وتنبيه للمؤمنين وكشف للشبهات، والنساء فيها الأحكام المتعلقة بالنساء واليتامى والضعفة، والمائدة فيها تكميل الأحكام والأمر بالوفاء بالعقود، والأنعام مقصودها: تقرير براهين التوحيد.

مقصد سورة الأعراف

تَسْلِيَةُ النَّبِيِّ بِحَالِ الرُّسُلِ مَعَ قَوْمِهِمْ مَقْصِدُ الْأَعْرَافِ قُلْ

وَجَاءَ فِيهَا الْأَمْرُ بِالْإِيمَانِ بِدِينِ رَبِّ مَا لَهُ مِنْ ثَانٍ

مقصد سورة الأنفال

تَبْيِينُ أَحْكَامِ الْجِهَادِ وَعَوَا مِلِّ لِنَصْرِ، ذَانِ الْإِنْفَالِ حَوَى

مقصد سورة التوبة

قَدْ فَضَحَتْ بَرَاءَةُ أَهْلِ النِّفَاقِ إِذْ هُمْ وَأَهْلُ الشَّرْكِ كَانُوا فِي اتِّفَاقٍ

وَامْتَأَزَّ أَهْلُ الْحَقِّ وَالْإِخْلَاصِ عَنْ غَيْرِهِمْ مَنْ فِيهِمُ النِّفَاقُ عَنْ

وَحَثَّ فِيهَا رَبُّنَا عَلَى قِتَالِ أَعْدَائِهِ أَهْلِ الْفُسُوقِ وَالضَّلَالِ

وَجَاءَ فِيهَا الْأَمْرُ بِالتَّوْحِيدِ وَطَاعَةِ لِرَبِّنَا الْمَعْبُودِ

مقصد سورة يونس

مَقْصِدُ يُونُسَ بَيَانُ صِدْقِ خَيْرِ الْأَنْامِ وَكِتَابِ الْحَقِّ

وَجَاءَ فِيهَا حُجَجٌ تَرُدُّ مَنْ كَذَّبَ وَحْيَ اللَّهِ -جَلَّ- ذِي الْمِنَّةِ

مقصد سورة هود

بَيَانُ نَهْجِ الْمُرْسَلِينَ فِي مُوَا جِهَةِ أَقْوَامِهِمْ هُوْدٌ حَوَى

وَأَنَّ ذَا الْقُرْآنَ مُعْجَزٌ حَكِيمٌ وَالْأَمْرُ بِالْإِيمَانِ بِالرَّبِّ الْحَكِيمِ

مقصد سورة يوسف

مَقْصِدُ يَوْسُفَ حِكَاةُ النَّبَلَا الْوَعْدُ بِالتَّمَكِينِ بَعْدَ الْإِبْتِلَا

وَكُونُهُ تَسْلِيَةٌ لِلْمُصْطَفَى وَالْمُؤْمِنِينَ قَدْ حَكَاهُ الْخُنْفَا

مقصد سورة الرعد

وَمَقْصِدُ الرِّعْدِ بَيَانُ قُوَّةِ وَقُدْرَةِ الْإِلَهِ رَبِّ الْعِزَّةِ

وَالْوَعْدُ لِلْمُؤْمِنِ بِالْجَنَانِ وَعِدَّةُ الْكَافِرِ بِالنَّيِّرَانِ

مقصد سورة إبراهيم

بَيَانُ دَوْرِ الرُّسُلِ وَالْحَرْصِ عَلَى تَوْحِيدِ رَبِّ الْخَلْقِ جَلَّ وَعَلَا

وَكُونُ ذَا الْقُرْآنِ أَنْزَلَ لَكِي يُخْرِجَ كُلَّ النَّاسِ مِنْ شِرْكِ وَغِيٍّ

وَيَعْبُدُوا إِلَهَنَا الرَّحِيمَا فَذَلِكَ مَقْصِدُ إِبْرَاهِيمَا

مقصد سورة الحجر

الإنذار بالعقاب للمكذِّبين **للأنبياء مقصدُ الحجرِ يبينُ**

والوعدُ بالحفظ لذا القرآن **والنصر والتأييد للعذنانِ**

مقصود سورة الأعراف: الحث على الاتباع مع مقصود التسليّة للنبي -صلى الله عليه وسلم- والمؤمنين أمام المكذِّبين، لذلك ذكر الله فيها مصارع الأمم المكذبة التي فيها تسليّة النبي -صلى الله عليه وسلم- وإنذار الغافلين بقصص الماضين، انظر إلى قوله تعالى في أولها: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ٣] الحقّ تبين ببراہینہ فی سورة الأنعام فما بقي إلا الاتباع.

وفيهما قصة آدم مع إبليس الذي استكبر ولم يتبع، ثم اسمها سورة الأعراف، أهل الأعراف قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم، كادوا يدخلون النار، لكنّ رحمهم الله، فكأن هذا المشهد محدث من الكبر الذي هو أكبر موانع اتباع الحق، قالوا لرجال يعرفونهم من الكفار الذين في النار: ﴿مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تُسْتَغْبَرُونَ﴾ [الأعراف: ٤٨] وفي هذا تحذير من الكبر.

وفيهما قصة بلعام، وفيها تحذير طالب العلم من الركون إلى الدنيا، وأن يتبع هواه بعد أن من الله عليه واصطفاه وعلمه.

ثم السجدة في آخر السورة من أعظم ما يُثبّت الإنسان ويُقرّبه من الله سبحانه وتعالى ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾.

قال -وفقه الله-:

تسليّة النبي بحال الرُّسل **مع قومهم مقصدُ الأعرافِ قُل**

في السورة تسليّة وتثبيت.

الأمم المكذبة قالت للأنبياء: ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الأعراف: ٦٠]، ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [الأعراف: ٦٦]، وقد بينت الآيات مصارع هذه الأمم المكذبة: ﴿وَأَعْرِفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ [يونس: ٧٣]، ﴿وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ [الأعراف: ٧٢] وهذه لا شك تسليّة وتثبيت للنبي -صلى الله عليه وسلم- والمؤمنين، يقال: سلّاه تسليّة إذا كشف عنه همّه.

وجاء فيها الأمر بالإيمان **بدين رب ما له من ثان**

من أولها: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ [الأعراف: ٣] والقصص كلها حث على الإيمان فإنها تبين حسن عاقبة أهل الإيمان: ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾، ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ﴾ [الأعراف: ٨٣].

ثم سورة الأنفال:

سورة الأنفال تبشیرٌ بالنصر وبيان لأسبابه وتحذير من فتنة الدنيا، وافتتحت السورة بالأنفال أي الغنائم ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ١] يسألونك عن الأنفال كيف تُقسم؟ ولمن ستكون؟ ﴿قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ١] حُكْمُها لله والرسول في التصرف بها وتوزيعها فهذه الآية نزعنا الدنيا من قلوبهم، وجردتهم لله وبهذا يكون النصر ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: ١] أصلحوا ما وقع بينكم من الخلاف والتنازع، وهذا الذي حصل بعد بدر لَمَّا اختلفوا في الأنفال بعضهم قال: نحن كنا مع النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- نحرسه، وبعضهم قال: نحن طاردنا العدو ونحن أحقُّ بها، وبعضهم قال: نحن جمعناها، قال عبادة بن الصامت -رضي الله عنه- وقد سئل عن الأنفال: «فينا نزلت معشر أصحاب بدر، نزلت حين اختلفنا في النِّفْلِ وساءت فيه أخلاقنا، فانتزعه الله من أيدينا وجعله إلى رسوله -صلى الله عليه وسلم- فقسمه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بين المسلمين عن بواء» أي: على السواء.

فجاءت أربعون آية من أول السورة كلها في تربيته وتهديب نفوسهم، ثم جاء حُكْمُ الغنائم في الآية الحادية والأربعين: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾ [الأنفال: ٤١] الآية.

انظر إلى أسباب النصر في هذه السورة:

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩] الدعاء وتحقيق التَّوْحِيدِ من أسباب النصر.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ٢٤] الاستجابة لله والرسول من أسباب النصر.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥]، الإكثار من ذكر الله من أسباب النصر.
قال -وفقه الله-:

تبیین احکام الجهاد وعَوَا مِلَّ لنصر، ذان الانفال حوى

ثم بعد الانتصار على الأعداء لم يبق لموالاتهم معنى، فجاءت سورة براءة.

سورة التوبة مقصودها البراءة من المشركين وفضح المنافقين: ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١] وفيها: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ أي رسوله بريء منهم كذلك.

وفيها في المشركين: ﴿فَاتْلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصَرِّكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ

صُدُّورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ [التوبة: ١٤] وفي أهل الكتاب: **﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾** [التوبة: ٢٩] الآية.

ثم القسم الثالث: وهم المنافقون وقد سماها بعض العلماء الكاشفة والفاضحة، قال ابن عباس -رضي الله عنهما- عن سورة براءة: **«تلك الفاضحة ما زال ينزل: ومنهم ومنهم حتى ظنوا أنها لم تُبقِ أحداً منهم إلا ذكر فيها»** وهذه السورة التي فيها البراءة من المشركين وفضح المنافقين الاسم المشهور لها هو التوبة، حتى تعلم أن رحمة الله سبقت غضبه، **﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾**، **﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾** وفيها قصة الثلاثة الذين خَلَفُوا: **﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾** الآية، **﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾** فتوبة العبد مسبقة بتوبة من الله تعالى عليه، وقد تكرر فيها ذكر التوبة كثيراً، تكرر سبع عشرة مرة، وخُتمت بأعظم رحمة: **﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾**.

قال -وفقه الله-:

قَدْ فَضَحَتْ بَرَاءَةُ أَهْلِ النِّفَاقِ إِذْ هُمْ وَأَهْلُ الشَّرْكِ كَانُوا فِي اتِّفَاقٍ
وَامْتَأَزَّ أَهْلُ الْحَقِّ وَالْإِخْلَاصِ عَنْ غَيْرِهِمْ مَنْ فِيهِمُ النِّفَاقُ عَنْ
وَحِثٌّ فِيهَا رَبُّنَا عَلَى قِتَالِ أَعْدَائِهِ أَهْلِ الْفُسُوقِ وَالضَّلَالِ
وَجَاءَ فِيهَا الْأَمْرُ بِالتَّوْحِيدِ وَطَاعَةِ لِرَبِّنَا الْمَعْبُودِ

﴿اتَّخِذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرَهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

السور من الفاتحة إلى التوبة كأنها منظومة متكاملة تأمل في مقاصد السور من الفاتحة إلى التوبة، تحقيق العبودية في الفاتحة ثم الحث على الاستسلام ثم التثبيت ودفع الشبهات ثم أحكام الصلوات والضعفاء واليتامى والنساء، ثم تكميل الأحكام والوفاء بالعقود ثم تقرير التوحيد، ثم الحث على الاتباع وتسليية النبي -صلى الله عليه وسلم- والمؤمنين في الأعراف، ثم بيان أسباب النصر والتحذير من الدنيا في الأنفال ثم البراءة من المشركين.

ثم رجعت السور هنا تقرر موضوع الرسالة، سورة براءة مدنية ويونس مكية. وسورة يونس ثم سورة هود ثم يوسف ثم الرعد ثم إبراهيم ثم الحجر كلها من أبرز

مقاصدها موضوع الرسالة، كلها تقرر الرسالة مع توحيد الله تعالى الذي هو خلاصة الرسالة، في سورة يونس من أولها: **﴿أَكَاَنَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ﴾** من أبرز مقاصدها رد معارضات منكري النبوة وبيان صدق النبي -صلى الله عليه وسلم-، والعجيب أنه لم تذكر قصة يونس إلا في آية واحدة، وهي قوله تعالى: **﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾**.

الرسول سبب للهداية، والهداية بيد الله -عز وجل-، لا يملك الرسل أن يدخلوا الإيمان في قلوب الناس، فالأمر في الهداية لله -عز وجل-، قال الله -تعالى- قبلها في قصة فرعون: **﴿قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتَ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ * الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ﴾** الإيمان عند نزول العذاب لا يقبل؛ لأنه يكون إيمانًا اضطراريًا كما قال تعالى: **﴿فَلَمْ يَكْ يَنْفَعِهِمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بِأَسْنًا﴾** لكن قبل الله -تعالى- إيمان قوم يونس وقت نزول العذاب مع أن هذا خلاف السُّنَّة الكونية **﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾** لم يحدث أن قرية آمنت عند معاينة العذاب فنفعتها إيمانها إلا ما كان من قوم يونس وذلك لصدقهم في الإيمان.

والسورة ربطت أمر الهداية بالله -سبحانه وتعالى-، انظر إلى قوله تعالى: **﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلْ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾** وقبل ذلك في أول السورة: **﴿أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صَدَقَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾** أي سبقت لهم السعادة في اللوح المحفوظ، ثم في قصة فرعون: **﴿قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتَ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾** ولم يقبل ذلك منه، ثم في قصة قوم يونس: **﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾** آمنوا فقبل الله منهم، ثم ترى في السورة قوله تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ * وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾** [يونس: ٩٧] حتى تعرف أن الأمر لله تعالى: **﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا﴾** انظر إلى ربط الهداية بالله سبحانه وتعالى **﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تَكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ * وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَوْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾** وكون الإيمان بيد الله لا يعني أنك لا تعمل، بل ابذل الأسباب قال: **﴿قُلْ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾** هذا سبب للإيمان، لكن في الوقت نفسه: **﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾** فأمر الهداية بيد الله سبحانه وتعالى.

قال:

مقصدُ يونسَ بيانُ صدقِ خيرِ الأنام وكتابِ الحقِّ

لذلك افْتُتِحَتْ بالوحي واختُتِمَتْ به، ففي أولها: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ﴾ وفي آخرها: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾.

وجاءَ فيها حُجَجٌ تَرُدُّ مَنْ كَذَّبَ وَحْيَ اللَّهِ -جَلَّ- ذِي الْمِنَّنِ

فيها الحجج والبراهين على ألوهية الله وعلى أن هذا القرآن من عنده: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمِنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يَخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمِيتِ وَيُخْرِجُ الْمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ أفلا تتقون الله فتخلصون العبادة لله وحده وتخلعون ما تعبدون من دون الله، وكذلك الآيات التي بعدها: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنْتَ تُؤْفَكُونَ * قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾.

ثم سورة هود، وقد برز فيها موضوع التوكل على الله -سبحانه وتعالى-، ففي أولها قاعدة التوكل: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ وفي آخرها: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ وبينهما برز موضوع التوكل انظر في قصة هود -عليه السلام- الذي سميت السورة باسمه، هو وحده يتحداهم ﴿قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ * مَنْ دُونَهُ فَكَيْدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ﴾ من أين جاءت هذه القوة؟ ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾ مع أن عادًا لم يُخلَقْ مثلها في البلاد قالوا: من أشد من قوة، وترى هذا أيضًا في قصة نوح عليه السلام: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ * قَالَ سَاوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾ إذا علمت أن الأمر كله لله حملك ذلك على التوكل عليه ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ وفي قصة إبراهيم رزق الولد مع انقطاع الأسباب قالت زوجته: ﴿أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ فهذا كله يحمل على التوكل على الله سبحانه وتعالى.

وقد بينت هذه السورة ثبات الأنبياء مع شدة عناد قومهم، قال النَّازِمُ -وفقه الله-:

بَيَانُ نَهْجِ الْمُرْسَلِينَ فِي مُوَا جَهَةِ أَقْوَامِهِمْ هُوْدٌ حَوَى

بينت السورة ثبات المرسلين مع شدة عناد أقوامهم، وهذه القصص فيها تثبيت النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- والمؤمنين، وتشديد الوعيد للمكذِّبين.

وَأَنَّ ذَا الْقُرْآنَ مُعْجَزٌ حَكِيمٌ وَالْأَمْرُ بِالْإِيمَانِ بِالرَّبِّ الْحَكِيمِ

قال تعالى في أولها: ﴿الر * كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير﴾ فإذا كان إحكامه وتفصيله من الحكيم الخبير فلا تسأل عن عظمه وجلالته.

ما مضمون هذه الآيات التي أحكمت ثم فصلت؟ مضمونها: ﴿ألا تعبدوا إلا الله﴾ أنزل القرآن من أجل إخلاص الدين كله لله وألا يُشرك به أحد، فالقرآن كله كتاب توحيد، نظير هذا صدر سورة النحل: ﴿أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يُشركون * يُنزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون﴾ فإذا كان هذا أعظم مقصود لإنزال القرآن فينبغي كذلك أن يكون أعظم مقصود عندك وأن تجعله أكبر هم في حياتك أن تُحقق العبودية الخالصة لله جل جلاله، وأن تبذل قواك وطاقتك كلّها في تحقيق هذه العبودية.

وبعد سورة هود سورة يوسف التوكل كيف يقوم في القلب؟ إذا تقرر في قلبك أن الله غالبٌ على أمره فهذا الذي يورثك التوكل.

قال تعالى عن يعقوب أنه قال لابنه يوسف: ﴿لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً﴾ لم يقصصها عليهم وقد كادوا له، والله غالبٌ على أمره.

يكيدون له ويلقونه في الجب وإذا به يخرج إلى القصر والله غالبٌ على أمره. في القصر تراوده امرأة العزيز وتُغلق الأبواب لكن: ﴿قال معاذ الله﴾ والله غالبٌ على أمره، لماذا حفظه الله؟ حفظه لإخلاصه ﴿إنه من عبادنا المخلصين﴾ بكسر اللام وفتحها قراءتان، لما أخلص لله أخلصه الله له واصطفاه، فالمخلص محفوظ. ومع وضوح براءته يُسجن والله غالبٌ على أمره.

قال يوسف -عليه السلام- للذي ظن أنه ناج منهما: ﴿اذكرني عند ربك﴾ أي عند سيدك الملك ﴿فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين﴾ أي أنسى الشيطان ذلك الذي نجا منهما ذكر يوسف عند الملك فمكث يوسف -عليه السلام- بعد ذلك في السجن بضع سنين والله غالبٌ على أمره.

كيف خرج من السجن؟ أرى الله الملك رؤيا عجز الناس عن تعبيرها فعبّر بها يوسف -عليه السلام- فأخرجه الله من السجن إلى الوزارة والله غالبٌ على أمره.

إخوة يوسف -عليه السلام- استعلوا عليه وهامُّ الآن يأتونه ويطلبون منه والله غالبٌ على أمره لا معقب لحكمه لا راد لقضائه، وهذه قاعدة التوكل لما ذكر في سورة هود التوكل ذكر قاعدته في سورة يوسف وهي: ﴿والله غالبٌ على أمره﴾.

وسورة يوسف مكية نزلت في وقت إيذاء قوم النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- له، ففيها تثبيت النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- والمؤمنين ووعدهم بالتمكين بعد ابتلاء الله

لهم، وهذا قول الناظم -وفقه الله-:

مقصّد يوسف حكاه النبلا **الوعد بالتمكين بعد الابتلا**
وكونه تسلية للمصطفى **والمؤمنين قد حكاه الحنفا**

ثم سورة الرعد.

سورة الرعد جاءت بين السور التي بأسماء الأنبياء، وفيها قوة براهين الرسالة، وقوة تقرير الحق والتوحيد والرسالة في أولها ﴿المر * تلك آيات الكتاب والذي أنزل إليك من ربك الحق﴾ من أولها حق وقوة، ﴿الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها﴾ حتى قال عن القرآن: ﴿ولو أن قرآن سُيِّرَ به الجبال﴾ الآية. انظر إلى هذه القوة التي تناسب اسم الرعد أي لو أراد الله -تعالى- أن يُظهر حقيقة أثر القرآن في الكائنات لرأيت الجبال تُسَيَّر عن أماكنها، والأرض تتشقق، والناس يبعثون أحياءً، فهنا جواب الشرط محذوف وحذف جواب لو الشرطية كثير، يعني لو أن شيئاً يُقرأ فنُزال به الجبال عن أماكنها أو تُشقق به الأرض فتستحيل عيوناً وأنهاراً، أو يُقرأ على الموتى فيحيون لكان هذا القرآن، انظر إلى قوة التقرير.
قال:

ومقصّد الرعد بيان قوّة **وقدرة الإله رب العزّة**
والوعد للمؤمن بالجنان **وعدة الكافر بالنيران**

﴿الذين استجابوا لربهم الحسنی والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه لافتدوا به أولئك لهم سوء الحساب ومأواهم جهنم وبئس المهاد﴾ والآيات بعدها وكذلك قوله تعالى: ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا﴾ هذا وعد المؤمن بالجنان، ﴿وعقبى الكافرين النار﴾ هذه عدة الكافر بالنيران.

ثم بعد ما رأيت في سورة الرعد من قوة براهين الرسالة هذه سورة إبراهيم تُثبت قيام الرسل بما أمروا به من البلاغ والدعوة إلى التوحيد، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وقد تكرر ذلك في السورة: ﴿كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور﴾ ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور﴾ هذا قول الناظم -وفقه الله-:

بيان نور الرسل والحزب على **توحيد رب الخلق جلّ وعلا**

وَكُونُوا ذَا الْقُرْآنِ أَنْزَلَ لَكُمْ يُخْرِجُ كُلَّ النَّاسِ مِنْ شِرْكٍ وَغَيِّ

وَيَعْبُدُوا إِلَهَنَا الرَّحِيمَا فِذَلِكَ مَقْصِدُ إِبْرَاهِيمَا

وما بقي بعد وضوح الحق بأدلتة إلا أن تُقبل على شكر الله وعبادته، لذا برز في سورة إبراهيم موضوع الشُّكر ﴿وَذَكَرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ أي: بنعم الله، وقد امتثل موسى - عليه السلام - ذلك ففي الآية التي بعدها: ﴿وَإِذَا قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ ثم بعدها: ﴿وَإِذَا تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَنَنْشُرْكُمْ لَأَزِيدَنَكُمْ﴾ انظر إلى هذه النِّعم: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَآتَاكُم مِّنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾.

ثم دعاء إبراهيم برز فيه التَّوْحِيد مع الشُّكر، في أوله: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ ثم بعد ذلك في أثناء الدعاء ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ عَلَيَّ الْكِبَرَ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ والشُّكر هو حقيقة التَّوْحِيد، يقوم النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- حتى تنفطر قدماءه، ثم يقول: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا» قال تعالى: ﴿وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾.

ثم سورة الحجر:

وهي آخر السور المفتحة بـ(الر)، وهذه السور كلها مفتحة بـ(الر) إلا الرعد فإنها افتتحت بـ(المر) مَنْ هم أصحاب الحجر؟ الجواب: هم ثمود قوم صالح ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسِلِينَ * وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ * وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ﴾ الذين كانوا ينحتون من الجبال بيوتا هم ثمود قوم صالح.

سورة الحجر فيها التحذير من الاغترار بالأمل، وهو من أكبر العوائق عن الحق وعن التوبة، طويلُ الأمل كأنه لا آخر لعمره، فجاءت في هذه السورة الصُّورُ الكونية فيها بيان أن كل شيء محدود موزون عند الله تعالى، ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ حتى أبواب النار دُكر عددها هنا ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ وذكر الله تعالى في المقابل الأمل المحمود قال: ﴿وَمَنْ يَقْتِطْ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ وسُميت السورة بالحجر -والحجر مكان بين الحجاز والشام- لأن ثمود اغتروا بمساكنهم، ﴿وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ﴾ فغرَّهم الأمل وانظر في قوله تعالى في آخرها: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ * لَا تَمْدِنْ عَيْنُكَ إِلَى مَا مَتَعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا

منهم أي أصنافاً من الكفار من متع زائلة فانية، لذلك لا يليق بطالب العلم الذي أكرمه الله بالعلم أن يلتفت إلى الدنيا، قد حَبَّبَ الله إليك الإيمان، وزَيَّنَه في قلبك، فكيف تستهويك الدنيا وشهواتها!

قد هيئوك لأمرٍ لو فطنتَ له فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

وفي السورة عُرِضَتْ مشاهد المُهْلَكِينَ الذين غرهم الأمل، قال -وفقه الله-:

الإنذار بالعقاب للمكذِبِينَ لِلأنبياءِ مقصدُ الحجرِ يبينُ

السورة عرضت مشاهد المُهْلَكِينَ المكذِبِينَ من قوم لوط، وقوم صالح وهم أصحاب الحجر فتَوَعَّدَ هؤلاء المستكبرون المستهزئون في أولها: **﴿ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون﴾**، وفي آخرها: **﴿فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين * إنا كفيناك المستهزئين﴾** ففيها إنذار للمكذِبِينَ وتوعَّدٌ لهم.

والوعدُ بالحفظ لذا القرآنِ والنَّصر والتأييد للعذنانِ

(والوعدُ بالحفظ لذا القرآنِ) ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾.

(والنَّصر والتأييد للعذنانِ) هذا الإنذار للمكذِبِينَ والمستهزئين هو انتصارٌ للقرآن،

وتأييدٌ للنبي صلى الله عليه وسلم.

مقصد سورة النحل

ومقصدُ النحلِ هو التذكيرُ بنِعَمِ الإلهِ والتحذيرُ
من جحدها وبَيَّنْتَ كمالاته قدرته وعلمه تعالى
مقصدُ سورة الإسراء

ومقصد الإسراء هو الإقبالُ على الذي ليس له مثالُ
سبحانه -جلّ- وخلع ما سواه من كلّ ما يُعبد من دون الإله
كذلك تفضيلُ الإله الحقِّ -جلّ جلاله- لبعض الخلقِ
وهكذا رفعُ النبي بذكرِ لبعض آياتِ له فلتُذَرِ
مقصد سورة الكهف

والكهفُ قد جاء لزعجِ النَّاسِ عَنْ شركٍ وتحذيرهم من الفتنِ
مع قصصٍ تدعو إلى التدبُّرِ لما حوت من حِكْمٍ وعِبَرِ
مقصد سورة مريم

شمولُ رحمةِ الإله لجميِّ -ع- خلقه مقصدُ مريمَ اعْلَمِ
وهكذا اتّصافه بالقُدرةِ والعلمِ والوَحدةِ والإرادةِ
مقصد سورة طه

سعادةُ المؤمن والشّقاوةُ لكافرٍ مقصد طه أثبتوا
والأمرُ بالتوحيد والحثُّ على الرِّفق في الدعوة لله علا
مقصد سورة الأنبياء

والأنبياء دلّت على التحقُّقِ لساعةٍ وقربها فحقِّقِ
كذا الحِسَابُ في الحقيِرِ والعَظِيمِ لكلِّ مخلوقاتِ ربِّنا العَليمِ
كذلك وحدةٌ وغايةُ الرُّسُلِ صرْفُ العبادةِ له عزَّ وجلّ
مقصد سورة الحج والمؤمنون

تعظيمُ ربِّنا بالانقيادِ لأمره سَمْعًا والابتعادِ
عن النواهي ذا حجٍّ مَقْصَدُ ومقصدُ التي تليها يُورَدُ

بيان فوز وفلاح المؤمنين بجنة معدة للمتقين والكافرون لهم الخسران والخزي واللعنة والنيران مقصد سورة النور

والنور جاً لحفظ عرض المؤمنين ورفعة النبي خير المرسلين

بعد أن حذرت سورة الحجر من طول الأمل هذه سورة النحل تُحقق إتيان الوعيد: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: ١] والآيات في إتيان الوعيد في النحل ظاهرة: ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [النحل: ٨٥]، ﴿فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ﴾ [النحل: ٢٦] وامتزج هذا بمقصد التذكير بالنعم حتى سماها بعض السلف سورة النعم، وهذا يدل على أن علم مقاصد السور معروف عند السلف قال قتادة في قوله تعالى في هذه السورة: ﴿كَذَلِكَ يَتِمُّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٨١] قال: «هذه السورة تسمى سورة النعم» وتأمل كيف أن رحمة الله سبقت غضبه، فمع أن السورة فيها تحقيق إتيان الوعيد: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ مع ذلك غُلِّفت بغلاف التذكير بالنعم، أول نعمة وأعظم نعمة: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ﴾ [النحل: ٢] لأن القرآن هو سبب حياة الإنسان الحقيقية فهو الروح، وانظر إلى النعم التي ذكرت فيها: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ [النحل: ٤]، ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [النحل: ٥] إلى آخر منافعها، ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ [النحل: ١٠] وذكر منافعها، ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ [النحل: ١٢]، ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾ [النحل: ١٣]، ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ﴾ [النحل: ١٤]، ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾ [النحل: ١٥] إلى أن قال: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [النحل: ١٨]، وأعظم نعمة - كما سبق - إنزال القرآن لذلك قال: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ [النحل: ٢] هذه خلاصة القرآن، فالقرآن كتاب توحيد، ﴿أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ [النحل: ٢] هذا مضمون ما أنزله الله. ومن أعظم النعم من ناحية مادية العسل الذي فيه شفاء الأبدان، ومن ناحية معنوية القرآن الذي فيه شفاء القلوب والأبدان.

قال:

ومقصد النحل هو التذكير بنعم الإله والتحذير

من جحدتها

نعم ذكرت بالنعم وفي التذكير بها إلزام بالعبودية للمنع سبحانه وتحذير من

ججودها؁ وقء ءُءءء السورة بالنموءج الكافر بالنعم: ﴿وَصَرَبَ اللّٰهُ مَثَلًا قَرِيَةً كَانَتْ اٰمَنَةً مِّطْمَئِنَّةً يٰٓاَتِيَهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِاَنْعُمِ اللّٰهِ فَاذَاقَهَا اللّٰهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوْا يَصْنَعُوْنَ﴾ [النحل: ١١٢] وايضًا بالنموءج الشاكر وهو ابراهيم - عليه السلام- قال الله -تعالى-: ﴿شَاكِرًا لِاَنْعُمِهِ﴾ [النحل: ١٢١].

..... وبَيَّنَّتْ كَمَالًا قَدْرَتَهُ وَعِلْمَهُ تَعَالَى

تكرر فيها وصف الله بالعلم والقدرة؁ من ذلك قوله تعالى: ﴿وَاللّٰهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُّرَدُّ اِلَى اَرْضٍ اَلْعُمُرُ لَكُمْ لَا يَعْْلَمُ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا اِنَّ اللّٰهَ عَلِيْمٌ قَدِيْرٌ﴾ [النحل: ٧٠].
ثم سورة الإسراء نوهت بأعظم نعمة وهي القرآن الكريم؁ بعد أن ذكر الله تعالى في أولها إفساد بني إسرائيل قال: ﴿اِنَّ هٰذَا الْقُرْاٰنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ اَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩] وهذه إشارة إلى أن الشرف انتقل إلى أمة الإسلام وأن السيادة لها حتى إنه ما عُرج بالنبى - صلى الله عليه وسلم- من مكة بل أسري به إلى بيت المقدس وصلى فيه إمامًا بالأنبياء؁ ثم عُرج به من هناك ففيه إشارة إلى انتقال الشرف من بني إسرائيل إلى أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

وترى فيها التنويه بالقرآن ورفع شأنه: ﴿اِنَّ هٰذَا الْقُرْاٰنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ اَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩] ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْاٰنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِيْنَ لَا يُؤْمِنُوْنَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مِّنْثُورًا﴾ [الإسراء: ٤٥] ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْاٰنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِيْنَ﴾ [الإسراء: ٨٢] وفي آخرها بينت أثر القرآن على أهل العلم ﴿وَقُرْاٰنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا * قُلْ آمَنُوْا بِهِ اَوْ لَا تُؤْمِنُوْا اِنَّ الَّذِيْنَ اُوْتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ اِذَا يُتْلٰى عَلَيْهِمْ يَخِرُّوْنَ لِلْاَذْقَانِ سُجَّدًا * وَيَقُوْلُوْنَ سُبْحٰنَ رَبِّنَا اِنْ كٰنَ وَعْدُ رَبِّنَا لِمَفْعُوْلًا * وَيَخِرُّوْنَ لِلْاَذْقَانِ يَبْكُوْنَ وَيَزِيْدُهُمْ خُشُوْعًا﴾ [الإسراء: ١٠٦-١٠٩] قال أبو الأعلى التيمي: «من أوتي من العلم ما لا يبكيه لخلق ألا يكون أوتي علمًا ينفع؁ لأن الله تعالى نعت العلماء فقال: ﴿اِنَّ الَّذِيْنَ اُوْتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ اِذَا يُتْلٰى عَلَيْهِمْ يَخِرُّوْنَ لِلْاَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ وذكر الآيات» [الإسراء: ١٠٧-١٠٩].

قال:

ومقصد الإسرا هو الإقبال على الذي ليس له مثال

﴿وقضى ربك﴾ أمر ووصى ﴿ألا تعبدوا إلا إياه﴾ هذه أعظم وصية توحيد الله بالإقبال عليه وخلع كل ما سواه.

سبحانه -جلّ- وخلع ما سِواه من كلّ ما يُعبد من دون الإله
كذلك تفضيلُ الإله الحقّ جلّ جلاله لبعض الخلق
وهكذا رفعُ النَّبي بذكر لبعض آياتِ له فلتنذر

من ذلك أنه فضل نبينا -صلى الله عليه وسلم- وبين علوّ مقامه وحُسن عاقبته، وأكمل له الفضائل فلم يفته منها فائت وفضل أمته، وفي تفضيله -صلى الله عليه وسلم- وعلو مقامه قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء: ١]، وقال تعالى: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] وفي تفضيل أمته: بعد أن ذكر إفساد بني إسرائيل قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩] في الآية تفضيل هذه الأمة على من تقدمها، فهذه الأمة التي القرآن كتابها فضلت في هذه الآية على من تقدّمها. ثم سورة الكهف:

لما استعان المشركون باليهود قالوا لهم: سلوا محمداً -صلى الله عليه وسلم- عن ثلاث: عن أصحاب الكهف، وعن ذي القرنين، وعن الرُّوح، الروح جاء الجواب عنها في سورة الإسراء، لأنها متعلقة بالملكوت الأعلى وهذا منها: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ الآية [الإسراء: ٨٥] لما سأل المشركون النَّبيّ -صلى الله عليه وسلم- قال: «أُجيبكم غداً» ولم يقل: إن شاء الله، فتأخر الوحي أسبوعين حتى أرجف المشركون ودخلت الشبهة في قلوب بعض النَّاس، المشركون دائماً ما عندهم إلا الشَّغْب: ﴿وَالْعَوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦] ما عندهم مع القرآن إلا أن يلغوا فقط، لكن هذه المرة كأنهم أتوا بعلم، قالوا: نحن عندنا بعلم وما نجادلك إلا بالعلم فإن كنت نبياً فأجب عن هذه الأسئلة التي لا يعرف جوابها إلا نبي فكان هذا شديداً على المسلمين، فتأمل لما نزلت سورة الكهف أولها: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ [الكهف: ١] من أبرز مقاصدها الجواب عن أسئلة المشركين لدفع افتراءهم وتقرير نبوة نبينا -صلى الله عليه وسلم-، يزعمون أنهم أصحاب علم أول شيء جادلتهم به السورة: ﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ [الكهف: ٤].

اليهود يزعمون أن عزيزاً ابن الله، كأنه يقال لهم: أنتم تزعمون أنكم أصحاب علم؟! إن كنتم أصحاب علم فتعلموا أولاً التوحيد قبل كل شيء، كيف تزعمون أن لله ولداً؟! ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ﴾ [الكهف: ٥]، ثم جاء الجواب عن أصحاب الكهف. لماذا تسألون عن أصحاب الكهف؟ أصحاب الكهف نموذجٌ للثبات على التوحيد فهل أنتم توحدون الله؟

وبرز فيها ما يتعلّق بالعلم ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ﴾ [الكهف: ٢٢]، وقال: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا (٢٥) قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾

[الكهف: ٢٥-٢٦] وجاءت بتفصيل القصة بما لا يوجد حتى عند اليهود والنصارى. وذكر قصة صاحب الجنتين من باب التحذير من فتنة الدنيا؛ لأن الإعراض بعد وضوح الحق سببه الدنيا.

ثم ذكر قصة ذي القرنين التي سألوها عنها. لكن لاحظ هنا ذكرت قصة موسى والخضر مع أنهم ما سألوها عنها؛ ما الحكمة من ذلك؟ المقصود هنا تبكيت اليهود، هم يقولون للمشركين: إن أجابكم محمد ﷺ عن هذه الأسئلة فهو نبي، وإن لم يجب فليس بنبي، فإله تعالى يقول لهم: ها هو موسى -عليه السلام- خفي عليه ما فعله الخضر أمامه، فهل معنى هذا أن موسى ليس بنبي؟! ليس من شرط النبي أن يعلم الغيب، إذا قال: لا أعلم فلا يعني هذا الطعن في نبوته، إن كنتم ستطعنون في نبوة محمد ﷺ بهذا فيلزمكم أن تطعنوا في نبوة نبيكم بهذا، وليس هذا مطعنا.

فسورة الكهف سبب نزولها: أسئلة أهل الكتاب.
قال الناظم:

والكهف قد جاء لزعج الناس عن شركٍ وتحذيرهم من الفتن

مع قصص تدعو إلى التدبر لما حوت من حكم وعبر

هذه السورة بيّنت منهج التعامل مع الفتن، فذكرت أحوال الصالحين وقصصهم في تعاملهم مع الفتن:

- الفتنة في الدين في قصة أصحاب الكهف.
- فتنة المال في صاحب الجنتين.
- فتنة العلم في قصة موسى والخضر.
- فتنة الملك في قصة ذي القرنين.

ثم سورة مريم:

سورة مريم بيّنت كمال رحمة الله تعالى بالخلق، تكرر فيها ذكر الرحمة أكثر من عشر مرات باشتقاقاتها ﴿ذَكَرْ رَحْمَةَ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾ [مريم: ٢]، ﴿وَلَنَجْعَلَنَّ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا﴾ [مريم: ٢١]، ﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٠]، ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾ [مريم: ٥٣].

وانظر إلى دعوة إبراهيم -عليه السلام- لأبيه دعوة رحمة يخاطبه بقوله: ﴿يَا أَبَتِ﴾، وتكرر فيها اسم الرحمن حتى في سياق العذاب والأحوال ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ [مريم: ٤٥]، ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾ [مريم: ٦٩]، ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾ [مريم: ٧٥]، ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣].
قال -وقفه الله-:

شَمُولٌ رَحْمَةٍ إِلَهِ لَجْمِيدٍ — عِ خَلْقِهِ مَقْصَدُ مَرْيَمَ اعْلَمُ

وَهَكَذَا اتَّصَافُهُ بِالْقُدْرَةِ وَالْعِلْمِ وَالْوَحْدَةِ وَالْإِرَادَةِ

اتصافه بكمال الرحمة بإضافة جميع النعم إلى جميع خلقه؛ هذا يستلزم الدلالة على اتصافه بجميع صفات الكمال.

وفي آخرها جاء الرد القوي على من ادّعى أن الله اتخذ ولدًا ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾ [مريم: ٨٨-٨٩].

وفي المقابل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦] الله - سبحانه وتعالى - لم يتخذ ولدًا، لكن له عباد يحبهم ويحبونه، يقربهم إليه هو بهم حفي ﴿وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢]، ﴿إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ [مريم: ٤٧].
ثم سورة طه:

سورة طه تُبَيِّنُ أَنَّ الْقُرْآنَ سَبَبُ السَّعَادَةِ لِجَمِيعٍ مَنِ اتَّبَعَ هِدَاةَ وَأَنَّ مَنْ خَالَفَهُ فَلَهُ الشَّقَاءُ.

انظر كيف أن اليهود سألوا عن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين، كان الأولى بهم أن يسألوا عن عيسى - عليه السلام - الذي ضلُّوا فيه، فبيّنت سورة مريم قصته وأنه عبد لله وأن الله هو الواحد الأحد، وكان الأولى بهم أن يسألوا أيضًا عن موسى - عليه السلام - وقد بيّن الله قصته هنا في سورة طه.

بيّنت سورة طه أن طريق الإيمان هو طريق السعادة والفلاح ﴿مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ [طه: ٢]، ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [طه: ١٢٣].

تشعر فيها بجو السكينة والطمأنينة وعدم الخوف ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ﴾ [طه: ٢١]، ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى﴾ [طه: ٣٧]، ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩]، ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ [طه: ٤١]، ﴿لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: ٤٦]، ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى (٦٧) قُلْنَا لَا تَخَفْ﴾ [طه: ٦٧-٦٨].

وهذه السورة تبين رعاية الله لأوليائه؛ ترى هنا رعاية الله لموسى وعنايته به، وفي هذا تثبيتٌ لنبينا ﷺ وإشعارٌ بمعية الله له، وهذا نموذج عناية الله تعالى بعباده.

ونموذج الشقاء تراه في قصة السامري.

وفي آخر السورة: ﴿قُلْ كُلُّ مُتَرَبِّصٍ فَتَرَبِّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى﴾ [طه: ١٣٥].

قال:

سَعَادَةُ الْمُؤْمِنِ وَالشَّقَاوَةُ لِكَافِرٍ مَقْصَدُ طه أَثْبَتُوا

القرآن سعادةٌ لجميع من اتبعه ﴿مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ [طه: ٢]، ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [طه: ١٢٣].

ومن خالفه فله الشقاء ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ [طه: ١٢٤].

(وَالْأَمْرُ بِالتَّوْحِيدِ) قال تعالى: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ [طه: ٤: ١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [طه: ٩٨: ١].

..... وَالْحَثُّ عَلَى الرَّفْقِ فِي الدَّعْوَةِ لِلَّهِ عَلَا

﴿أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (٤٣) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: ٤٣: ١].

ثم سورة الأنبياء موعظة قوية موقظة للقلوب، ترى في أسلوبها القوة في التقرير. من أولها: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١: ١]، ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً﴾ [الأنبياء: ١١: ١]، ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ﴾ [الأنبياء: ١٨: ١]. حتى في تقرير بعض الآيات الكونية: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ [الأنبياء: ٣٠: ١]، ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ جُدَادًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ﴾ [الأنبياء: ٥٨: ١] ترى فيها القوة في الأسلوب والتقرير.

وذكر الأنبياء في تضرعهم: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾ [الأنبياء: ٨٣: ١]، ﴿وَذَا النُّونَ إِذْ ذَهَبَ مُغَاصِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ﴾ [الأنبياء: ٨٧: ١]، ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾ [الأنبياء: ٨٩: ١] فالأنبياء في غاية الحاجة والافتقار إلى الله سبحانه وتعالى، وهذا يدل على بشريتهم، وهذا قد قرره السورة ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨: ١] قال ابن كثير: بل كانوا أجسادًا يأكلون الطعام، ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾ [الأنبياء: ٣٤: ١]. قال -وفقه الله-:

وَالْأَنْبِيَاءُ دَلَّتْ عَلَى التَّحَقُّقِ لِسَاعَةٍ وَقُرْبِهَا فَحَقِّقْ

﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ [الأنبياء: ١: ١].

كَذَا الْحِسَابِ فِي الْحَقِيرِ وَالْعَظِيمِ لِكُلِّ مَخْلُوقَاتِ رَبَّنَا الْعَلِيمِ

﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧: ١].

(كَذَاكَ وَحْدَةً) الواو هنا مفتوحة وكسرها لحن، قال في منحة المליح في الكلم الفصيح:

وَوَحْدَةُ الْأُمَةِ بِأَبْهَا افْتَحَ وَالْكَسْرُ لِلْوَاوِ خِلَافَ الْأَصْلَحِ

كَذَاكَ وَحْدَةً وَغَايَةَ الرُّسُلِ صَرْفُ الْعِبَادَةِ لَهُ عَزَّ وَجَلَّ

الرسول جميعًا دعوتهم واحدة كما قال تعالى في هذه السورة: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥: ١]، وقال تعالى في آخر السورة: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [الأنبياء: ١٠٨: ١]. ثم سورة الحج

في سورة الأنبياء ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ [الأنبياء: ١]، هنا في سورة الحج تحقق هذا الوعيد ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ١-٢] فافتتحت سورة الحج بهذا الموقف العظيم من مواقف اليوم الآخر.

والحج يذكر بالقيامة، فالناس في الحج يلبسون لباس الكفن ويكونون في صعيد واحد، حتى آيات الحج في البقرة آخرها قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [البقرة: ٢٠٣] فالحج صورة مصغرة من يوم الحشر.

في سورة الحج تقرير التوحيد وإقامته في واقع الحياة، وفيها إقامة شعيرة الحج التي هي من أبرز مظاهر التوحيد لله جل جلاله، وردت على المجادلين بالباطل ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ﴾ [الحج: ٣] الآيات.

وترى في سورة الحج المخلوقات كلها خاضعة لله منقادة له ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ﴾ لكن لما جاء إلى ذكر الناس قال: ﴿وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ فالذي لا يخضع لله ولا ينقاد له هذا في الحقيقة شاذ عن الكون كله ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾ فليس له أحد يكرمه ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج: ١٨] فكل شيء في الكون يسبح الله تعالى ويعظمه.

قال بعض السلف: أما يستحي أحدكم أن تكون دابته التي يركب، وثوبه الذي يلبس أكثر ذكراً لله منه! ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤]. قال:

تعظيم ربنا بالانقياد لأمره سمعاً والابتعاد

عن النواهي ذا لحج مفصلاً

فهي إقامة للدين في واقع الحياة بالانقياد لله والخضوع له.

ثم بعدها سورة المؤمنون:

أول ما ذكر من صفات المؤمنين المفلحين هو الخشوع في الصلاة، فخشوعك في صلاتك هو الذي يبين حقيقة إيمانك، هو حقيقة وزنك وقدرك عند الله سبحانه وتعالى، إذا أردت أن تختبر إيمانك فانظر إلى خشوعك في الصلاة.

دائماً الصلاة والزكاة يُقرنان معاً ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾، لكن هنا فصل بينهما: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ [المؤمنون: ١-٤] هنا فصل بينهما بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٣].

والحكمة في ذلك: أن تحقيق الخشوع إنما يكون بالإقبال بالكلية على الله تعالى

والإعراض عن اللغو؛ لذا جاء ذكر الإعراض عن اللغو بعد ذكر الخشوع، وانظر كيف افتتح صفاتهم بالصلاة واختتمها بالصلاة، في أولها: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٢]، وفي آخر الصفات: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المؤمنون: ٩].

وفيها ذكر أكبر شبهة تتعلق بالإيمان بالرسول وهي كونهم بشرًا، وقد كانت هذه الشبهة عند جميع الأقوام، ذكر الله تعالى عنهم أنهم قالوا: ﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾ [المؤمنون: ٢٤]، ﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ﴾ [المؤمنون: ٣٣]، ﴿فَقَالُوا أَتُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾ [المؤمنون: ٤٧].

وصف البشرية بذاته لا يعارض الرسالة فهم بشرٌ اصطفاهم الله واختارهم وكمّلهم بالإيمان.

قال:

ومقصّد التي تليها يُورّد
بيان فوز وفلاح المؤمنين بجنة مُعدّة للمتقين
والكافرون لهم الخسران والخزي واللعنة والنيران

فالسورة ثناءً على المؤمنين وتشنيعٌ على الكافرين، في أولها: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١]، وفي آخرها: ﴿إِنَّهُ لَا يَفْلَحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

ثم سورة النور

الإيمان في حقيقته نور، كل مؤمنٍ يؤتى يوم القيامة نورًا بحسب إيمانه فجاءت سورة النور بعد سورة المؤمنون، ولن تستنير القلوب والمجتمعات إلا بهذه الآداب التي تقضي على الفاحشة وتنير القلوب والمجتمعات.

■ في أولها إعلانٌ حاسمٌ لحدّ الزنا.

■ ثم حد القذف.

■ ثم ذكر موضوع اللعان.

■ ثم ذكر حادثة الإفك دفاعًا عن عرض النبي ﷺ.

■ وفيها وسائل الوقاية ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا﴾ [النور: ٢٧].

■ فيها غرض البصر ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ [النور: ٣٠]، ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: ٣١].

■ ثم الحجاب ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١].

■ ثم الزواج ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ﴾ [النور: ٣٢].

■ وفيها تحريم البغاء.

■ ثم تربط السورة هذه الأحكام كلها بنور الله تعالى ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥]، أي هادي أهل السماوات وأهل الأرض، ضرب مثلًا لنور الإيمان في قلب

المؤمن بهذا المثل البديع، ما محل هذا النور؟ محله بيوت الله ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ اللَّهُ أَنْ

تَرْفَعُ وَيُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُهُ [النور: ٣٦].

■ وفيها آداب الدخول بالاستئذان في البيوت.

■ وفيها أدب المؤمنين مع النبي ﷺ **﴿وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ﴾** [النور: ٦٢]، **﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾** [النور: ٦٣]

يعني إذا ناديتموه لا تقولوا: يا محمد يا ابن عبدالله كما تفعلونه فيما بينكم، ولكن قولوا: يا رسول الله يا نبي الله، وكذلك هو إذا دعاكم إلى شيء فسارعوا إلى الاستجابة، ولا تجعلوا دعوته لكم كدعوة بعضكم بعضًا.

وفي بعض المخطوطات في كتابة يا رسول الله لا يضعون ألفًا بعد الياء، بل يكتبون ياء ثم راء متصلة بها وألفا خنجرية، فلا يكون هناك رفع حتى في الخط، كما قال الله تعالى في سورة الحجرات: **﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾** [الحجرات: ٢]. قال:

وَالنُّورُ جَا لِحَفْظِ عَرَضِ الْمُؤْمِنِينَ وَرِفْعَةِ النَّبِيِّ خَيْرِ الْمُرْسَلِينَ

كل ما سبق -من كلامٍ عن مقصود السورة- هو تفصيل لما ذكره في هذا البيت، فالسورة جاءت بالأحكام والآداب التي في امتثالها حراسة الفضيلة وحماية الأعراض وصون العفاف، ونور القلوب والمجتمعات، وفيها أدب المؤمنين مع النبي ﷺ.

مَقْصَدُ سُورَةِ الْفُرْقَانِ

ومقصد الفرقان دفع الريب عَنِ الرَّسُولِ وَالْكِتَابِ الْعَرَبِيِّ

مَقْصَدُ سُورَةِ الشُّعَرَاءِ

بيان إعجاز الكتاب مَقْصَدُ مُبَيِّنٍ لِلشُّعَرَاءِ يُورَدُ
وهكذا التأييد بِالْآيَاتِ لِلْمُرْسَلِينَ مَعَ هَلَاكِ الْعَاتِي

مَقْصَدُ سُورَةِ النَّملِ

وَالنَّمْلُ قَدْ جَاءَ لِامْتِنَانٍ عَلَى النَّبِيِّ بِنِعْمَةِ الْقُرْآنِ
وَأَنَّ ذَا الْقُرْآنِ ذُو هِدَايَةٍ لِلنَّاسِ كُلِّهِمْ، وَذُو كَفَايَةٍ

مَقْصَدُ سُورَةِ الْقَصَصِ

ومقصد القصص تَمْكِينُ الْإِلَهِ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَهَلَاكِهِ الطُّغَاةِ

مَقْصَدُ سُورَةِ الْعَنْكَبُوتِ

الْأَمْرُ بِالْمَعْرِوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ فِي فِتْنِ "الْعَنْكَبُوتِ" يَأْتِي

مَقْصَدُ سُورَةِ الرُّومِ

تَفَرُّدُ الرَّبِّ بِتَصْرِيفِ الْأُمُورِ لِلرُّومِ، مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَى النَّشُورِ

مَقْصَدُ سُورَةِ لُقْمَانَ

الْأَمْرُ بِاتِّبَاعِ مَا تَضَمَّنَتْهُ كِتَابُنَا مِنْ حِكْمٍ مُبَيَّنَةٍ
قِصَّةُ لُقْمَانَ دَلِيلٌ ذَاكَ وَذَلِكَ مَقْصَدُ الَّذِي أَتَاكَ

مَقْصَدُ سُورَةِ السَّجْدَةِ

الْإِنْذَارُ بِالْكِتَابِ لِلْكَفَّارِ وَهَكَذَا التَّبَشِيرُ لِلْأَبْرَارِ
كَذَا بَيَانُ خَلْقِ أَحْوَالِ الْبَشَرِ قُلْ مَقْصَدُ لِسُورَةِ السَّجْدَةِ قُرْ

مَقْصَدُ سُورَةِ الْأَحْزَابِ

الْأَحْزَابُ قَدْ حَثَّتْ عَلَى أَنْ تُؤْتَرَا اللَّهُ مِنْ دُونِ مُرَاعَاةِ الْوَرَى
وَاللَّهُ فِي أَعْمَالِهِ حَكِيمٌ وَبِمَصَالِحِ الْوَرَى عَلِيمٌ

مَقْصَدُ سُورَةِ سَبَأٍ

قَدْ أَنْكَرَ السَّاعَةَ كُلَّ مُمْتَرِي فِي شَأْنِهَا تَبًّا لِعَبْدٍ مُفْتَرِي

وقوعها حتمٌ لِمَا لِلْمَالِكِ مِنْ قُدْرَةٍ وَحِمْيَةٍ فِي ذَلِكَ
وَوَرَدَتْ قِصَّةُ أَهْلِ سَبَأَ أَعْظَمَ بِهَا مِنْ قِصَّةٍ وَنَبَأَ
لِمَا حَوَتْ مِنْ قُدْرَةِ الْعَالَمِ عَلَى الْوَرَى فِي الْخَلْقِ وَالْإِعْدَامِ
وَمِنْهُ وَمَنْعُهُ رُحْمَاهُ لِشَاكِرٍ أَوْ كَافِرٍ نِعْمَاهُ

مَقْصَدُ سُورَةِ فَاطِرٍ

لِلَّهِ وَحْدَهُ كَمَالُ الْقُدْرَةِ مِنْ ذَاكَ بَعَثَ النَّاسَ فِي الْآخِرَةِ
وَالْبَعَثُ لِلْخُلُودِ مُقْتَضٍ، فَفِي دَارِ السَّلَامِ خَالِدٌ كُلُّ صَافِي
وَقَدْ أَحَلَّ رَبُّنَا سُبْحَانَهُ فِيهَا عَلَى عِبَادِهِ رِضْوَانَهُ
وَقَدْ كَفَاهُمْ الدَّوَاهِيَ وَالْخُطُوبُ لَا نَصَبٌ يَمَسُّهُمْ وَلَا نُغُوبٌ
وَفِي السَّمُومِ وَالْحَمِيمِ وَالتَّبُورِ وَفِي الْعَذَابِ خَالِدٌ كُلُّ كَفُورٍ



النور يفرّق بين الحق والباطل، سورة الفرقان بعد سورة النور وقد فرقت بين الحق والباطل.

في سورة النور دافع الله عن عرض نبيه ﷺ، في الفرقان دافع عن نبيه في أصل الدين -في التوحيد- أمام تعنّت المشركين بالتفريق بين الحق والباطل، فهي فرقانٌ بين التوحيد والشرك، في أولها: ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ [الفرقان: ٢]، وفي المقابل: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا﴾ [الفرقان: ٣]، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ﴾ [الفرقان: ٤]، ﴿وَقَالُوا أَأَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٥) قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان: ٥-٦]، ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ﴾ [الفرقان: ٧] تعنّت واعتراضات، والله تعالى فيها يفرّق بين الحق والباطل.

◀ وهي فرقان كذلك في الآيات الكونية:

■ الظل والشمس ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٥].

■ الليل والنهار ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٤٧].

■ العذب الفرات والملح الأجاج ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ [الفرقان: ٥٣].

◀ ثم في آخرها في مقابل تعنت المشركين أشاد بعباد الرحمن وذكر صفاتهم وجزاءهم ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

ومقصد الفرقان دفع الريب عن الرسول والكتاب العربي

انتصر الله فيها لرسوله وكتابه بإبطال مطاعن المكذبين.

○ ثم سورة الشعراء:

◀ فيها تسليية للنبي ﷺ أن الله تعالى أنزل عليه أعظم آية وهي هذا القرآن العظيم ﴿وَأَنَّهُ لَنَتَنَزِّلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٥].

◀ وفيها تنزيه القرآن عن أن يكون من كلام الشياطين أو أن يشابه كلام الشعراء ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (٢٢٦) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الشعراء: ٢٢٤-٢٢٧] فأين شِعْر هؤلاء الشعراء من كلام رب العالمين! هذا قوله:

بيان إعجاز الكتاب مقصد مبين للشعراء يورد

وهكذا التأيد بالآيات للمرسلين مع هلاك العاتي

◀ ذكر قصص الأنبياء وإهلاك الله -تعالى- للطغاة وتأييده للمرسلين.

○ ثم سورة النمل:

◀ سورة النمل دعوة إلى التفكر في آيات الله، وأعظمها القرآن الكريم ﴿طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [النمل: ١].

◀ تأمل في سورة النمل:

■ نملة تتكلم.

■ هدهد يدعو إلى توحيد الله تعالى.

■ ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النمل: ٤٠].

■ دابة تكلمهم ﴿أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢].

■ وخُتِمت بقوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سِيرِكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا﴾ [النمل: ٩٣].

فالمتفكر في آيات الله يوحّد الله ويعظّمه، وأعظم هذه الآيات القرآن الكريم؛ لذا ترى امتنان الله تعالى على النبي ﷺ بالقرآن الكريم في أولها: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [النمل: ١]، ﴿وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل: ٦]، وفي آخرها: ﴿وَأَنْ أَتْلُو الْقُرْآنَ﴾ [النمل: ٩٢].

والنمل قد جاء للامتنان على النبي بنعمة القرآن

وأن ذا القرآن ذو هداية للناس كلهم، وذو كفاية

○ ثم سورة القصص:

- ذكر الله تعالى فيها استضعاف موسى وهو رضيع.
- ثم لما قتل القبطي وخرج خائفًا.
- ثم استظل تحت ظل شجرة ودعا ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾

[القصص: ٢٤].

◀ مشاهد الاستضعاف واضحة في سورة القصص.

- وهي قصة تورث اليقين في القلوب.

◀ هذا البحر الهائج الذي هو محلُّ للهلاك يتحوَّل إلى محضنٍ لموسى -عليه

السلام-، ويأخذه إلى قصر فرعون.

◀ قَتَلَ فرعون آلاف الأطفال حتى لا يوجد هذا الطفل وإذا به يتربى في بيته.

◀ ثم يبحثون له عن سبب الحياة وهو المرضعة، فتكون أمه هي المرضعة سبحانه

الله!

وأهلك -سبحانه وتعالى- قارون لما طغى كما ترى في آخر السورة.

◀ ثم في آخرها: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَيْنَا مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥]، الظلام

مهما طال يأتي بعده الضياء، فكَذَلِكَ أيام فرعون مهما طالَّت يأتي بعدها النصر.

◀ وفيها وعدٌ للنبي ﷺ والمؤمنين بالنصر والتمكين ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ

لَرَادُّكَ إِلَيْنَا مَعَادٍ﴾ أي إلى مكة فكما أُخْرِجْتَ من مكة فَإِنَّكَ سترجع مرةً أخرى، وفُسِّرَ بالبعث.

◀ وخُتِمت بالتوحيد ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨].

ففيها ذكر تمكين الله -عز وجل- للمؤمنين وإهلاكه للطغاة.

ومقصدُ القصصِ تمكينُ الإله للمؤمنين، وهلاكُ الطُّغَاةِ

○ ثم سورة العنكبوت:

◀ كما امتحن الله تعالى موسى -عليه السلام- وامتحن بني إسرائيل كما في سورة

القصص جاءت سورة العنكبوت تُبَيِّنُ أن الامتحان سنةٌ كونيةٌ فهي سورة الابتلاء.

■ أعظم فتنة فتنة الشرك، ومن أقرب الناس إليك ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ

لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ [العنكبوت: ٨].

■ فتنة الناس ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ

كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ [العنكبوت: ١٠].

■ وفيها فتنة طول المدة مع عدم النصر ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾

[العنكبوت: ١٤].

■ فيها فتنة الابتلاء بطغيان الشهوة في قصة قوم لوط.

وهكذا نَوْعُ الله تعالى فيها ذكر الابتلاءات.

◀ وفي ختامها بيان المخرج من الابتلاء ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ

اللَّهُ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ [العنكبوت: ٦٩] إذا وُجِدَت المجاهدة وُجِدَت الهداية.

■ وكما أن الحكم يدور مع علته وجودًا وعدمًا فهو كذلك يدور معها قوة وضعفًا فكلما كانت المجاهدة أعظم كانت الهداية أتم.

◀ وتأمل في تسميتها بسورة العنكبوت، أعظم فتنة فتنة الشرك، ومهما أشرك المشركون وعبدوا غير الله فإن هذا الشرك كخيوط العنكبوت، انظر كيف ضرب الله المثل لاتخاذ المشركين أولياء من دون الله بالعنكبوت اتخذت بيئًا، وبيت العنكبوت لا يغنيها من حر ولا من برد ولا يظللها فهو أوهن البيوت، فكذلك من تعلق بغير الله لم يكن على شيء؛ فهي إشارة إلى وهن الشرك وأهله.

قال وفقه الله: **(الأمر بالمعروف)** فيها الحث على الاجتهاد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله **(والثبات في فتن "للعنكبوت" يأتي)** الأحسن هنا أن تكون "يأتي" لا "يأتي" للسلامة من سناد التأسيس وهو من عيوب القوافي.

○ ثم سورة الروم:

◀ المبتلى الذي يرى الاضطرابات والفتن يحتاج إلى يقين في قلبه فجاءت سورة الروم تقرر أن الأمر لله من قبل ومن بعد من خلال تقليب الأحوال.

◀ هذه السورة ترسخ اليقين بأن الأمر لله من قبل ومن بعد يصرف الأمر كيف يشاء ونصر الله أت **(الم (١) غلبت الروم (٢) في أدنى الأرض)** أقرب أرض الشام إلى بلاد فارس **(وهم من بعد غلبهم سيغلبون (٣) في بضع سنين)** كيف يكون هذا؟ كان يقال: إنه يستحيل في ذلك الزمان أن تنتصر الروم مرة أخرى على الفرس هذا بالنظر للأسباب، لكن **(لله الأمر من قبل ومن بعد)** [الروم: ٤-١].

وهذا تراه في سورة الروم.. ترى تقلبات عجيبة: **(ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون)** [الروم: ٢٠]، **(ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم)** [الروم: ٢٢]، **(الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابًا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله)** [الروم: ٤٨] الآيات، **(الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفًا وشيئًا)** [الروم: ٥٤]، **(ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم من ما ملكت أيمانكم من شركاء في ما رزقناكم فأنتم فيه سواء)** هل لكم من عبيدكم ومماليكم من يشارككم في أموالكم بالسوية؟ هل ترضون لأنفسكم من عبيدكم بهذه المشاركة؟ طبعًا لا ترضونه، فكيف ترضى لربك بشريك معه في حقه الخالص وأنت لا ترضى أن يشاركك أحد في حقه الخالص؟! **(كذلك نفضل الآيات لقوم يعقلون)** [الروم: ٢٨].

◀ أمام هذه التقلبات والفتن خُتمت السورة بقوله: **(فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفك الذين لا يوقنون)** [الروم: ٦٠].

تَفَرَّدَ الرَّبُّ بِتَصْرِيفِ الْأُمُورِ لِلرُّومِ، مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَى النَّشُورِ

تكررت الإشارة إلى النشور في السورة كثيرًا: **(الله يبدأ الخلق ثم يعيده ثم إليه**

﴿ثَرْجَعُونَ﴾ [الروم: ١١] أي تَنشرون.

﴿وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الروم: ١٩] أي تَنشرون.

﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرَجُونَ﴾ [الروم: ٢٥].

ولما ذكر إحياء الأرض بالمطر قال: ﴿فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الروم: ٥٠].

○ ثم سورة لقمان:

لا تظن أن تقليب الأحوال هكذا يأتي عبثاً بلا تقدير ولا حكمة، بل هو مربوط بحكمة الله تعالى، فجاءت سورة لقمان تقرر حكمة الله تعالى.

◀ موعظة لقمان موعظة حكيمة:

■ شملت العقيدة ﴿يَا بُنَيَّ لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ [لقمان: ١٣].

■ شملت كمال الإيمان ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ

[لقمان: ١٦] الآية.

■ شملت العبادة ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [لقمان: ١٧].

فسورة لقمان تقرر الحكمة، وقد افتتحت موعظة لقمان بأعظم حكمة وهي توحيد

الله.

◀ ما الحكمة؟ الحكمة أن تضع الشيء في موضعه المناسب، وأعظم الحكمة وضع

العبادة في موضعها وجعلها لمستحقها وهو الله سبحانه وتعالى، قال تعالى فيها: ﴿أَلَمْ

تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً

وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠] قال مجاهد في النعمة الباطنة: "هي لا إله إلا الله".

وقال سفيان بن عيينة: "ما أنعم الله على العباد نعمة أعظم من أن عرفهم لا إله إلا

الله".

قال:

الأمرُ بِاتِّبَاعِ مَا تَضَمَّنَهُ كِتَابُنَا مِنْ حِكْمٍ مُبَيَّنَةٍ

قِصَّةُ لِقْمَانَ دَلِيلٌ ذَاكَ وَذَلِكَ مَقْصِدُ الَّذِي أَتَاكَ

○ ثم سورة السجدة:

◀ تُرْسِخُ اليقين الذي يثمر السجود والخضوع التام لله سبحانه وتعالى.

◀ ترى فيها قوة الأسلوب في ترسيخ اليقين في القلوب ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾

[السجدة: ٢]، ﴿قُلْ يَتُوبَافَكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي نُكَلِّمُكُمْ﴾ [السجدة: ١١].

■ المجرمون يوقنون ويندمون لكن متى؟ حين لا ينفع الندم ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ

نَاكَسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾

[السجدة: ١٢] لكن لا ينفع إذ ذاك اليقين.

■ اليقين النافع: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ

رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [السجدة: ١٥] هذا هو اليقين النافع.

■ ففي السورة إنذارٌ لهؤلاء الذين لا يوقنون، وبشارةٌ لأهل اليقين.

﴿ وَبَيَّنَّتِ السُّورَةُ كَذَلِكَ مَبْدَأَ خَلْقِ الْإِنْسَانِ ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ (٧) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (٨) ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [السجدة: ٧-٩].

﴿ وَبَيَّنَّتِ أَحْوَالَهُمْ ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾ [السجدة: ١٨].
قال -وقفه الله-:

الإنذارُ بِالكِتَابِ لِلْكَفَّارِ وهكذا التبشيرُ لِلْأَبْرَارِ

كذا بيانُ خلقِ أحوالِ البشرِ قلْ مقصدُ لِسُورَةِ السَّجْدَةِ قَرُّ

○ ثم سورة الأحزاب:

﴿ تَرْسِخَ الْإِسْتِسْلَامَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مِنْ خِلَالِ تَعْظِيمِهِ ﷺ وَتَعْظِيمِ أَهْلِ بَيْتِهِ ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦]، ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢] فالسورة سورة تسليم، ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، حتى أهل النار ﴿يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾ [الأحزاب: ٦٦].

﴿ لَذا جَاءَتِ السُّورَةُ بِإِبْطَالِ الْعَادَاتِ الْمَسْتَحْكِمَةِ فِي الْمَجْتَمَعَاتِ مِثْلَ الظَّهَارِ وَالتَّبْنِي ﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤].

الأحزابُ قَدْ حَثَّتْ عَلَى أَنْ تُؤْتَرَا الله مِنْ دُونِ مُرَاعَاةِ الْوَرَى

واللهُ فِي أَعْمَالِهِ حَكِيمٌ وبمصالحِ الْوَرَى عَلِيمٌ

○ ثم سورة سبأ:

﴿ التَّسْلِيمَ لِلَّهِ حَقًّا لَا يَكْمُلُ إِلَّا بِالْإِيمَانِ بِكَمَالِ اللَّهِ وَكَمَالِ مَلِكِهِ وَقُدْرَتِهِ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ﴾ [سبأ: ١] فله الْمُلْكُ كُلُّهُ وَلَهُ الْقُدْرَةُ التَّامَّةُ.

﴿ وَرَدَّ اللَّهُ فِيهَا عَلَى مَنْ أَنْكَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ لِأَنَّ الْيَوْمَ الْآخِرَ هُوَ مَظْهَرُ مَلِكِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاحة: ٤]، ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٦].

﴿ وَبَرَزَ فِيهَا مَوْضُوعُ الْمُلْكِ كَمَا فِي مَمْلَكَةِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، شَكَرُوا النِّعْمَةَ فَأَدَامَ اللَّهُ لَهُمُ الْمُلْكَ ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ [سبأ: ١٣].

﴿ أَمَا مَمْلَكَةُ سَبَأٍ فَجَحَدُوا النِّعْمَةَ، مَا كَانَتْ عَاقِبَتُهُمْ؟ مَرْقَهُمُ اللَّهُ كُلَّ مَمْرَقٍ؛ لِأَنَّهُمْ كَفَرُوا وَلَمْ يَشْكُرُوا ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٧].

﴿ تَأَمَّلْ تَقْرِيرَ التَّوْحِيدِ مِنْ خِلَالِ كَمَالِ مَلِكِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا

مِنْ شَرِكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ (٢٢) وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴿[سبأ: ٢٢-٢٣].

وانظر إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا بَلَّغُوا مِغْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ﴾ [سبأ: ٤٥] المُلْكُ كله لله سبحانه وتعالى ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبأ: ٥٤] المُلْكُ لله.. فالله هو المَلِكُ.

قَدْ أَنْكَرَ السَّاعَةَ كُلُّ مُمْتَرِي فِي شَأْنِهَا تَبًّا لِعَبْدٍ مُفْتَرِي
وَقَوَّعَهَا حَتْمٌ لِمَا لِلْمَالِكِ مِنْ قُدْرَةٍ وَحِكْمَةٍ فِي ذَلِكَ
وَوَرَدَتْ قِصَّةُ أَهْلِ سَبَأٍ أَعْظَمَ بِهَا مِنْ قِصَّةِ وَنَبَأٍ
لِمَا حَوَتْ مِنْ قُدْرَةِ الْعَالَمِ عَلَى الْوَرَى فِي الْخَلْقِ وَالْإِعْدَامِ
وَمِنْهُ وَمَنْعِهِ رُحْمَاهُ لِشَاكِرٍ أَوْ كَافِرٍ نِعْمَاهُ

○ ثم سورة فاطر:

◀ تَقَرَّرُ الْقُدْرَةُ مِنْ خِلَالِ الْمَخْلُوقَاتِ الْمُنْتَوَعَةِ:

■ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنَحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعٍ﴾ [فاطر: ١].

■ ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٍ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ [فاطر: ١٢].

■ انظر كيف تقرر القدرة من خلال المخلوقات المتنوعة ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ﴾ أي الريح الحارة ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ [فاطر: ١٩-٢٢].

■ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (٢٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ الْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ﴾ [فاطر: ٢٧-٢٨].

◀ ثم بعد هذه الآيات الكونية والآيات الشرعية ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ [فاطر: ٢٩] وبين الآيات الكونية والشرعية تجد قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨] فالعلماء حقاً هم الذين يتفكرون في آيات الله الكونية ويتدبرون آيات الله الشرعية.

قال -وقَّقه الله-:

لِلَّهِ وَحْدَهُ كَمَالُ الْقُدْرَةِ مِنْ ذَاكَ بَعَثَ النَّاسَ فِي الْآخِرَةِ

يعني يلزم من القدرة الكاملة تمام القدرة على البعث، وعن البعث ينشأ ويكون البقاء الدائم في الجنة دار النعيم أو في النار دار الجحيم، وهذا الذي فصله الناظم في قوله:

وَالْبَعَثُ لِلْخُلُودِ مُقْتَضٍ، فَفِي دَارِ السَّلَامِ خَالِدٌ كُلُّ صَفِي

وَقَدْ أَحَلَّ رَبُّنَا سُبْحَانَهُ
 وَقَدْ كَفَاهُمْ الدَّوَاهِيَ وَالْخَطُوبُ
 وَفِي السَّامُومِ وَالْحَمِيمِ وَالتَّبُورِ
 فِيهَا عَلَى عِبَادِهِ رِضْوَانُهُ
 لَا نَصَبَ يَمَسُّهُمْ وَلَا لُغُوبُ

السموم: النار الشديدة الحرارة.
 الحميم: الماء المتناهي في الحرارة.
 الثبور: الهلاك.

وَفِي السَّامُومِ وَالْحَمِيمِ وَالتَّبُورِ
 وَفِي الْعَذَابِ خَالِدٌ كُلُّ كَفُورُ

مَقْصَدُ سُورَةِ يَس

إِثْبَاتُ ذِي الرِّسَالَةِ الَّتِي حَبَا بِهَا إِلَهِهُ الْمَصْطَفَى وَالْمَجْتَبَى
وَالْمُرْسَلُونَ صَفْوَةُ الْأَنَامِ وَهُوَ خَيْرُ الرُّسُلِ الْكَرَامِ
وَالْعَرَبِ أَيْضًا، فَهُمْ قَلْبُ الْبَشَرِ وَالْعَرَبُ قَلْبُهَا قَرِيشُ الْعَرَرِ

مَقْصَدُ سُورَةِ الصَّافَّاتِ

وَهِيَ بُرْهَانٌ عَلَى آخِرِ مَا قَدْ جَاءَ فِي يَسٍ مِمَّا عُلِّمَ
وَهُوَ تَنْزُّهُ الْمُهِيمِنِ إِلَهِ عَنِ الْخَنَا، جَلَّ إِلَهِهُ فِي عُلاهِ
مِنْ أَجْلِ ذَا فَمُطْلَقُ الْوَحْدَانِيَّةِ لِعَالَمِ الْأَسْرَارِ وَالْعَلَانِيَّةِ
إِذْ هُوَ مَرْجِعُ الْعِبَادِ لِلْقَضَا بَيْنَهُمْ، رَبِّي أَكْسُنَا ثَوْبَ الرِّضَا

مَقْصَدُ سُورَةِ ص

(وَص) تَبْيَانٌ لِمَا أوردَهُ رَبِّي مِنْ أَنَّ اللَّهَ مُولٍ جِنْدَهُ
النَّصْرَ وَالْفَوْزَ، وَلَوْ تَأَخَّرَا فَاللَّهُ أَدْرَى بِمَصَالِحِ الْوَرَى
وَهُوَ قَوْلُهُ (وَإِنَّ جُنَدَنَا) بِسُورَةِ الْيَقُطِينِ قَبْلُ، فَاظْنَا

مَقْصَدُ سُورَةِ الزَّمَرِ

لَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ إِلَهِ جَلًّا وَفَاعِلٌ لِمَا يَشَاءُ كُلًّا
بِكُلِّ شَيْءٍ قَدْ أَحَاطَ عِلْمُهُ وَغَالِبٌ لِكُلِّ شَيْءٍ حُكْمُهُ

مَقْصَدُ سُورَةِ غَافِرٍ

غَافِرٌ بُرْهَانٌ عَلَى مَا قَدْ ذَكَرَ إِلَهُنَا الرَّحْمَنُ آخِرَ الزَّمَرِ
مِنْ انْقِسَامِ النَّاسِ يَوْمَ الْحَشْرِ طَرًّا إِلَى قِسْمَيْنِ دُونَ نُكْرِ
يَوْمَ تُؤْفَى كُلُّ نَفْسٍ مَا سَعَتْ إِذِ الْوُجُوهُ لِلْمُهِيمِنِ عَنَتْ
وَمَنْ يُفَوِّضْ لِلْمُهِيمِنِ الْأُمُورَ فَازَ، وَمَنْ يَكْفُرْ أَذَاقَهُ الثَّبُورَ

مَقْصَدُ سُورَةِ فُصِّلَتْ

مَقْصَدُ فُصِّلَتْ بَيَانُ حَالِ عَاقِبَةِ الْإِعْرَاضِ وَالضَّلَالِ

مَقْصَدُ سُورَةِ الشُّورَى وَالزُّخْرَفِ

بيانُ قدرةِ إلهنا العظيمِ وفرضُ الاتِّباعِ للدينِ القويمِ
قُلْ مَقْصَدُ لِسُورَةِ الشُّورى أتى وسورةُ الزَّخرفِ فيما ثَبَّتْنا
قد حذرْتنا مِنَ الْاَفْتِتانِ بِزُخْرَفِ الدُّنيا فهوَ فَنانِ
مَقْصَدُ سُورَةِ الدُّخانِ

توعَّدَ الإلهُ في الدُّخَانِ أعداءه بِالْخزيِ والنَّيرانِ
ووعَّدَ الموحِّدينَ بِالنَّعيمِ والفوزِ بِالْجَنانِ رَبُّنا الْكَريمِ
مَقْصَدُ سُورَةِ الْجاثِيَةِ

قدرةُ رَبِّي مَقْصَدُ الْجاثِيَةِ بَخْلِقِنا والآيةِ الْكونِيَةِ
وإنَّ فِيها لِذَوِي الْعُقُولِ لِعِبْرًا يَعْجزُ عَنْها قَوْلِي
وحيثما اللَّبيبُ فِيها نظرا نَظَرَ تَأَمَّلِ، وفيها فَكَّرا
عَلِمَ حَقًّا أَنَّ رَبَّ الْعِزَّةِ هو الَّذي اسْتَحَقَّ لِلْعِبادةِ
وَأَنَّ مَنْ صَنَعَ ذاكَ قادرُ على النُّشورِ، ثُمَّ هوَ الْقاهرُ
مَقْصَدُ سُورَةِ الْأَحْقادِ

وسورةُ الْأَحْقادِ جَاءَتْ مُنْذِرَةً لِلْكَافِرِينَ الْمُعْرِضِينَ الْفَجَرَةَ
كَذاكَ إِهْلَاكُهُمْ، وَصِدْقُ وَعْدِ الْإِلهِ، فهوَ وَعْدٌ حَقُّ
وَبَيَّنْتَ كَوْنَ الْوَرى بِحاجَةٍ إلى رِسالَةِ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ



○ سورة يس:

◀ تقرر أمرين:

■ الرسالة.

■ والبعث.

البعث حياة الأجساد، والرسالة حياة للقلوب.

فسورة يس سورة حياة ﴿يس (١) وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (٢) إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [يس: ١-٣]

هذا تقرير الرسالة.

◀ وذكر قصة القرية التي أرسل الله إليها ثلاثة من الرسل وما ذُكرَ هذا إلا في هذه

السورة، وهذا خلاف المعهود أن يُرسلَ ثلاثة إلى قرية واحدة ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ [يس: ١٤]

حتى تعرف قدر الرسالة وأن الله تعالى يُرسل رسله ويقيم الحُجَّةَ على عباده.

◀ وانظر إلى قوله تعالى عن الرجل الذي جاء من أقصى المدينة يسعى قال: ﴿إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ﴾ (٢٥) قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ ﴿يس: ٢٥-٢٦﴾ لما أعلن لهم توحيد الله قتلوه، حتى هنا ما ذُكر موته ﴿إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ﴾ (٢٥) قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ ﴿كانها حياة دائمة فهو يتمتع في الحياة البرزخية.

◀ وفيها البعث ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى﴾ [يس: ١٢] هذا تقرير للبعث، ﴿وَأَيَّةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا﴾ [يس: ٣٣] هذا أيضاً تقرير للبعث تحيون كما تحيا الأرض الميتة.

◀ وذكر فيها آيات كونية فيها حياة وموت.

■ وفي آخر السورة ﴿قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٩].

إثبات ذي الرسالة التي حبا بها الإله المصطفى والمجتبى

والمُرسلون صفاة الأنام وهو خير الرُّسل الكرام

والعُرب أيضاً، فهم قلب البشر والعرب قلبها قريش الغرر

○ ثم بعد سورة يس سورة الصافات:

◀ سورة الصافات تقرر الاستسلام لله تعالى من خلال استسلام الملائكة واستسلام الرُّسل عليهم الصلاة والسلام ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا﴾ (١) فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا﴾ (٢) فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا﴾ (٣) إِنَّ إِلَهُكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ [الصافات: ١-٤] هذا توحيد الله من خلال استسلام الملائكة.

حتى يوم القيامة ﴿وَقِفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ (٢٤) مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾ (٢٥) بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾ [الصافات: ٢٤-٢٦] يستسلمون وقد كانوا في الدنيا ﴿إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصافات: ٣٥].

◀ وانظر إلى استسلام الأنبياء:

■ نوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ يفتقر إلى الله ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ [الصافات: ٧٥].

■ إبراهيم وإسماعيل -عليهما السلام- ينقادان لأمر الله ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ [الصافات: ١٠٣] إبراهيم -عليه السلام- يضع ابنه على جانب جبهته لينفذ ما أمره الله به من ذبحه استسلاماً لأمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

■ ومن استسلام الملائكة ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾ (١٦٤) وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ﴾ (١٦٤) وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ [الصافات: ١٦٤-١٦٦].

◀ وآخر ما في سورة يس تقرير تنزّه الله تعالى عن النقائص ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٨٣].

■ ويلزم من ذلك ردّ العباد للفصل بينهم بالعدل.

■ ويلزم من ذلك وحدانيته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قرّره بهذا التقرير البقاعي في مصاعد النظر، وهو الذي عقده المؤلف في قوله في مقصد سورة الصافات:

وَهِيَ بُرْهَانٌ عَلَى آخِرِ مَا
قَدْ جَاءَ فِي يَسِّ مِمَّا عَلِمَا
وَهُوَ تَنْزُّهُ الْمُهِيمِنِ الْإِلَهِ
عَنِ الْخَنَاءِ، جَلَّ الْإِلَهِ فِي عُلاَهُ
مِنْ أَجْلِ ذَا فَمُطْلَقُ الْوَحْدَانِيَّةِ
لِعَالَمِ الْأَسْرَارِ وَالْعَلَانِيَّةِ
إِذْ هُوَ مَرْجِعُ الْعِبَادِ لِلْقَضَا
بَيْنَهُمْ، رَبِّي أَحْسَنَّا ثَوْبَ الرِّضَا

○ ثم بعد سورة الصافات سورة ص:

استسلام الملائكة والمرسلين الذي رأيناه في سورة الصافات يقابله تعنت المشركين؛ فإنهم لم يستسلموا بل هم يخاصمون في الدين، فجاءت سورة ص تحذّر المسلم من الخصومة في الدين وتحثه على الإنابة في كل الأحوال إلى الله في السراء والضراء.

فهي ذكرى للإنسان ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ [ص:١] وتكرر فيها ذكر الخصومات:

■ ذكّر في بدايتها خصومة المشركين مع النبي ﷺ في أعظم شيء وهو توحيد الله ﴿أَجْعَلِ الْإِلَهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾ [ص:٥].

■ ثم ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ [ص:٢١] مع داود عَلَيْهِ السَّلَامُ.

■ ثم خصومة أهل النار ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ [ص:٦٤].

■ ثم ما يختصم فيه الملائكة الأعلى ﴿مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [ص:٦٩].

■ وفي آخرها خصومة إبليس مع ربه عز وجل.

■ وفي مقابل هذه الخصومة ترى فيها الإنابة والأوبة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿وَادْكُرْ

عِبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص:١٧]، ﴿وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص:٢٤].

■ سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ قال الله فيه: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص:٣٠]

أي رجّاع إلى الله تعالى بالإنابة والتوبة.

■ أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص:٤٤].

■ حتى الجبال والطير ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعُشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ (١٨)

وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ﴾ [ص:١٨-١٩] أي كل من الجبال والطير، وهذا امتثال لقوله

تعالى في سبأ: ﴿يَا جِبَالُ أَوْبِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ﴾ [سبأ:١٠].

فهذه السورة سورة دعوة إلى الإنابة إلى الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، ودعوة إلى ترك الخصومة في الدين، وبيّنت سورة ص أيضاً ما في آخر سورة الصافات **(وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ)** [الصافات: ١٧٣] فبيّنت هذا سورة ص وأنهم الغالبون وإن تأخر نصرهم. ذكر هذا البقاعي في مصاعد النظر وهو الذي عقده الناظم في قوله:

(و)ص) تبيان لما أورده ربّي من أن الله مُولٍ جندَه
النصرَ والفوزَ، ولو تأخراً فالله أدري بمصالح الورى
وهو قوله (وإنّ جُنَدَنَا) بسورة اليقطين قبل، فافطنا

○ ثم سورة الزمر:

◀ سورة الزمر تفصل الخصومة -التي رأيناها في ص- وتقرر التوحيد بكل وضوح، وفيها الثناء على القرآن الكريم.

◀ **(تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (٢) أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ)** [الزمر: ١-٣]، **(قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ)** [الزمر: ١١]، **(قُلْ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي)** [الزمر: ١٤]، **(وَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذَكَرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ)** [الزمر: ٤٥] هذا مناقض للإخلاص.

◀ **(وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ)** [الزمر: ٤٧] هؤلاء أهل الرياء.

قال سفيان الثوري: "ويل لأهل الرياء من هذه الآية".

◀ **(قُلْ أَغْيِرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ (٦٤) وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٥) بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ)** [الزمر: ٦٤-٦٦] إخلاص.

◀ وفيها فصل الخصومة لما ذكر الله شركهم قال: **(إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ)** [الزمر: ٣].

سورة ص فيها خصومات كثيرة، أعظم خصومة فيها هي الخصومة في التوحيد، فسورة الزمر تكلمت عن أعظم خصومة وقررت فيها الحق بتقرير التوحيد.

◀ سُمّيت سورة الزمر لأن تمام فصل القضاء أن يتفرّق الناس إلى زمر كل بحسب عمله، لكن ما الفرق بين الزمرة والجماعة؟ أصول هذه الكلمة الزاي والميم والراء تدلّ في اللغة على صوت، مثل المزمّار آلة الزمر، والزّمار صوت النعامة.

فقبل أن يقضي القاضي الناس صامتون منصتون، لكن أول ما يفصل القضاء تسمع الضجة والأصوات.. هكذا فصل القضاء، المؤمنون يُساقون إلى الجنة زُمراً وهم مستبشرون يضحكون تسمع أصواتهم، وأهل النار يُساقون إلى النار وهم يتلاعنون

تسمع أصواتهم وضجيجهم ولغظهم، لذلك قال ابن القيم - رَحِمَهُ اللهُ -: "لا تهمل تدبر قوله:

﴿زُمَرًا﴾" يعني في قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾، وقوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾.

◀ ثم المشهد الأخير: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥].

لا يُخْلِفُ الْوَعْدَ الْإِلَهُ جَلًّا وفاعلٌ لِمَا يَشَاءُ كَلًّا

بكلِّ شيءٍ قد أحاطَ علْمُهُ وغالبٌ لكلِّ شيءٍ حُكْمُهُ

ذكر الله تعالى فيها أن من حقَّت عليه كلمة العذاب مآله إلى النار، وأن المتقين ﴿لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾ [الزمر: ٢٠] هذا قول الناظم: **(لا يُخْلِفُ الْوَعْدَ الْإِلَهُ جَلًّا)**.

○ ثم سورة غافر:

◀ سورة غافر تردُّ على المجادلين بالباطل.

بعد تقرير التوحيد والإخلاص مع وضوح براهينه في سورة الزمر جاء الرد على المجادلين بالباطل ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرُكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ﴾ [غافر: ٤]، ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبِيرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [غافر: ٣٥]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾ [غافر: ٥٦]، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنِّي يُصْرَفُونَ﴾ [غافر: ٦٩] جاءت للردِّ على المجادلين.

◀ والجدال بالباطل يستوجب المقت ﴿لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾ [غافر: ١٠].

◀ وذكر في المقابل جدال المؤمن الذي كان يكتم إيمانه؛ لأنه كان يدعوهم بكل رحمة إلى مغفرة الله ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا﴾ [غافر: ٢٨] الآية، ﴿يَا قَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ [غافر: ٢٩]، ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ﴾ [غافر: ٣٠]، ﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾ [غافر: ٣٢]، ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: ٣٨]، ﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾ [غافر: ٤١].

انظر جدال المؤمن الذي يكتم إيمانه كيف يدعوهم بكل رحمة إلى مغفرة الله لذلك سُمِّيت سورة غافر، فهذه السورة تردُّ على المجادلين بالباطل ومع ذلك اسمها سورة غافر حتى تعلم أن رحمة الله سبقت غضبه؛ فهي مغفلةٌ بغلاف المغفرة والرحمة.

◀ وفي آخرها ذكر الله تعالى بعض آياته ثم قال: ﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ﴾ [غافر: ٨١].

وقد عقد الناظم ما ذكره البقاعي في مصاعد النظر في قوله:

غَافِرٌ بُرْهَانٌ عَلَى مَا قَدْ ذَكَرَ إِلَهُنَا الرَّحْمَنُ آخِرَ الزَّمَرِ

في آخر الزمر ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾، ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ فيها انقسام الناس يوم الحشر إلى قسمين، فغافر برهان على ما في آخر سورة الزمر قال:

مِنْ انْقِسَامِ النَّاسِ يَوْمَ الْحَشْرِ طَرًّا إِلَى قَسَمَيْنِ دُونَ نُحْرٍ

يَوْمَ تُوفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا سَعَتْ إِذِ الْوُجُوهُ لِلْمُهَيَّمِينَ عَنَتْ

وَمَنْ يُفَوِّضْ لِلْمُهَيَّمِينَ الْأُمُورَ فَازَ،

وظفر بمغفرة غافر الذنب (وَمَنْ يَكْفُرْ) ويجادل في آيات الله (أَذَاقَهُ الثَّبُورُ).

○ ثم سورة فصلت:

◀ سورة فَصَّلَتْ دَعْوَةً إِلَى الاستجابة لله من خلال تفصيل الآيات:

■ ذكر الله تعالى فيها تفصيل خلق السماوات والأرض كيف خلقها في ستة أيام.

■ انظر إلى الاستجابة، السماء والأرض تستجيب؛ استجابت عند خلقها ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا

طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]، وهي الآن مستجيبة ﴿تَسْبِحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ

وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤]. وفي آخر أحوالها أيضًا ستستجيب ﴿إِذَا

السَّمَاءُ انشَقَّتْ (١) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحَقَّتْ (٢) وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ (٣) وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا

وَتَخَلَّتْ (٤) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحَقَّتْ﴾ [الانشقاق: ١-٥] فترى في سورة فَصَّلَتْ استجابة السماء

والأرض عند خلقها ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١].

■ والجلود أيضًا تستجيب ﴿قَالُوا أَنْطَقْنَا اللَّهَ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [فصلت: ٢١].

■ والمؤمنون يستجيبون ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ [فصلت: ٣٠].

■ والأرض خاشعة تستجيب ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً﴾ [فصلت: ٣٩].

■ وفي السورة سجدة كأنها استجابة عملية لله سبحانه وتعالى.

قال:

مَقْصَدُ فَصَّلَتْ بَيَانُ حَالِ عَاقِبَةِ الْإِعْرَاضِ وَالضَّلَالِ

◀ وبيان حال هؤلاء المعرضين دعوة إلى الاتصاف بصد صفاتهم، فهي دعوة إلى

الاستجابة لله تعالى، وقد بينت آخر آياتها سبب عدم الاستجابة وأنه التعلق بالدنيا ﴿لَا

يَسْأَلُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ (٤٩) وَلَئِنْ أَدْقَانَاهُ رَحْمَةً

مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي

إِنْ لِي عِنْدَهُ لِلْحُسْنَى﴾ [فصلت: ٤٩-٥٠]، الذي جعلهم يعرضون هو هذا التعلق بالدنيا،

فالآيات هنا تراها تتغلغل في النفس البشرية وتحذر من هذه الطبيعة الفاسدة التي تمنع

من الاستجابة، ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو

دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾ [فصلت: ٥١].

◀ وقال في آخرها: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [فصلت: ٥٢] أيها المعرض قَدِّرْ أن هذا الكلام حقٌّ من عند الله وأنت كفرت به؟! قَدِّرْ هذا الاحتمال وافرضه ﴿مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ خسر الدنيا والآخرة.

○ ثم سورة الشورى:

◀ مع دعوتهم إلى الاستجابة إذا هم يُعرضون، فسورة الشورى تقرر للنبي ﷺ: أن كلَّ أمرهم إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأنتم أيها المسلمون اجتمعوا على إقامة دين الله.

كلَّ شيءٍ مستجيب لله كما في سورة فصلت فما لهم لا يستجيبون؟ ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةً عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [الشورى: ١٦].

■ أنتم اجتمعوا على إقامة الدين ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣]، ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨] أما هؤلاء فكلوا أمرهم إلى الله ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ [الشورى: ٦] لست موكلًا بحفظ أعمالهم، لن تُسأل عن أعمالهم ﴿لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ [الشورى: ١٥].

■ فالمقصود منها الحثُّ على الاجتماع على إقامة الدين، وانظر كيف أنه حتى يوم القيامة سُمي يوم الجمع ﴿التَّنْذِرَ أَمْ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [الشورى: ٧].

■ ومكة أيضًا سُميت أم القرى كأن كل القرى ترجع إليها فهي جامعةٌ لها، وتكرر ذكر الجمع فيها ﴿وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٩] وردَّت أمر الجمع إلى مشيئة الله ﴿إِذَا يَشَاءُ﴾، وترى الردَّ إلى المشيئة أيضًا في مواضع من السورة ﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ﴾ [الشورى: ٣٣]، ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاقًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾ [الشورى: ٤٩]، وفي آخرها: ﴿أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٣] فالأمر كله لله، أنتم اجتمعوا على إقامة الدين، وأما الذين اتخذوا من دون الله أولياء فكلوا أمرهم إلى الله.

◀ وفيها بيان الذين يجتبيهم الله إليه قال: ﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٣].

بقدر ما يكون عندك من التوبة والإنابة يكون فتح الله عليك في الهداية، أعظم الناس هدايةً أعظمهم توبة وإنابةً إلى الله تعالى.

إذا قرأت سورة الشورى تشعر بالعظمة (بيان قدرة إلهنا العظيم) ﴿إِلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ (٤) تكاد السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ يعني من فوق الأرضين؛ من عظمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تكاد السماوات مع عظمتها أن تتشقق

﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الشورى: ٤-٥].

بيان قدرة إلهنا العظيم وفرض الاتباع للدين القويم

﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣] (قُلْ مَقْصَدُ لِسُورَةِ الشُّورَى أُنَى).

○ ثم سورة الزخرف:

سورة الزمر قررت التوحيد.

سورة غافر ردت على المجادلين بالباطل.

سورة فصلت دعوة إلى الاستجابة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

سورة الشورى حث على الاجتماع على الدين وأن كلوا أمر هؤلاء المعرضين

المجادلين بالباطل إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

◀ بعد سورة الشورى تشعر أنه سينزل عليهم غضب من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وإذا بالله

تعالى يقول في أول سورة الزخرف: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ﴾ [الزخرف: ٥] يعني تظنون أننا بعد إنزال هذه السورة سنعرض عنكم ولا ننزل عليكم ما فيه هدايتكم بسبب إسرافكم؟! كلا، الله أرحم وأكرم، رحمته سبقت غضبه، فلا تزال الآيات تعظمهم لعلمهم يرجعون.

الزخرف تحذر من فتنة الدنيا وزخرفها، ما السبب في عدم استجابتهم؟ الافتتان بالدنيا وزخرفها، فالسورة تبين أن سبب إغراضهم هو افتتانهم بالدنيا وزخرفها ﴿وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٣٥].

◀ ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾ [الزخرف: ٥١]، وقال بعد ذلك: ﴿فَقُلُوا أَلْقَى عَلَيْهِ أَسْوَرةٌ مِنْ ذَهَبٍ﴾ [الزخرف: ٥٣] انظر كيف أن المقياس عندهم هو الدنيا، ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ﴾ [الزخرف: ٤٧] هذا شأن أهل الدنيا.

◀ ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧] من كان أسيرًا لملك الدنيا وزخرفها فإنه سيكون غداً أسيرًا لملك خازن النار.

قال الناظم -وقفه الله-:

وسورة الزخرف فيما ثبتنا

قد حذرنا من الافتتان بزخرف الدنيا فهو فان

◀ مقصود سورة الزخرف: التحذير من الافتتان بزخرف الدنيا، والزخرف هو الذهب.

○ ثم سورة الدخان:

◀ فيها الإنذار لكل من أعرض ﴿إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾ [الدخان: ٣].

◀ وذكر فيها شرف ليلة القدر التي نزل فيها القرآن ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾

[الدخان: ٤]، يعني فيها يقضي الله كل أجل وعمل.. يقضي الله الآجال والأعمال والأرزاق إلى مثلها من العام الثاني، فيقضى فيها: فلان يموت، وفلان يضل، وفلان يعصي،

وفلان يهتدي، وفلان يتوب، وفلان يحج، حتى من يحج تُكتب أسماؤهم في تلك الليلة، وفلان يتزوج، وفلان يولد له وهكذا.

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: "يُكْتَبُ مِنْ أَمِّ الْكِتَابِ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ مَا يَكُونُ فِي السَّنَةِ مِنْ

مَوْتٍ وَحَيَاةٍ وَرِزْقٍ وَمَطَرٍ، حَتَّى الْحُجَّاجُ يَقَالَ: يَحُجُّ فُلَانٌ وَيَحُجُّ فُلَانٌ."

وقال سعيد بن جبیر -في هذه الآية-: "إِنَّكَ لَتَرَى الرَّجُلَ يَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ وَقَدْ وَقَعَ اسْمُهُ فِي الْمَوْتَى". يعني كُتِبَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَنَّهُ سَيَمُوتُ فِي تِلْكَ السَّنَةِ. قال الناظم -وقفه الله-:

تَوَعَّدَ الْإِلَهَ فِي الدُّخَانِ أَعْدَاءَهُ بِالْخِزْيِ وَالنِّيرَانِ

فيها إنذارٌ للمكذِّبين ﴿إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾ [الدخان: ٣]، ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾

[الدخان: ٤٠].

وَوَعَدَ الْمُؤَحِّدِينَ بِالنَّعِيمِ وَالْفَوْزِ بِالْجَنَانِ رَبَّنَا الْكَرِيمِ

فيها وعد المؤمنين بالجنات والنعيم ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ (٥١) فِي جَنَّاتٍ

وَعُيُونٍ﴾ [الدخان: ٥١-٥٢].

○ ثم سورة الجاثية:

تدعو إلى التفكر في آيات الله تعالى ﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ

(٣) **وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُتُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٤) وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا**

أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ

يَعْقِلُونَ (٥) تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾

[الجاثية: ٣-٦] هذا التفكر يجعل الإنسان يجثو على ركبته خضوعاً لله.

قُدْرَةُ رَبِّي مَقْصَدُ الْجَاثِيَةِ بِخَلْقِنَا وَالْآيَةِ الْكُونِيَةِ

وإِنَّ فِيهَا لِدَوِي الْعُقُولِ لَعِبْرًا يَعِزُّ عَنْهَا قَوْلِي

وحيثما اللَّيْبُ فِيهَا نَظَرًا نَظَرَ تَأْمَلُ، وفيها فَكَّرًا

عَلِمَ حَقًّا أَنَّ رَبَّ الْعِزَّةِ هُوَ الَّذِي اسْتَحَقَّ لِلْعِبَادَةِ

وَأَنَّ مَنْ صَنَعَ ذَاكَ قَادِرٌ عَلَى النَّشُورِ، ثُمَّ هُوَ الْقَاهِرُ

في دعوة إلى التفكر في آيات الله تجعل العبد يخضع لله.

○ ثم سورة الأحقاف:

هذه آخر الحواميم.

كانها دعوة أخيرة إلى الاستجابة قبل أن يأتيهم العذاب والهلاك ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا

عَمَّا أَنْذَرُوا مُعْرِضُونَ﴾ [الأحقاف: ٣]، كأنه تحذيرٌ أخيرٌ قبل القتال، لذلك السورة التي بعدها

هي سورة القتال.

والأحقاف جمع جِئَف والحِئَف كثيب الرمل أي الرمال المجتمعة، وهذا المنظر كأنه يوحى بالهلاك، فهذه السورة إنذارٌ أخيرٌ، فهاهـُـم الجن يستجيبون كما في آخر سورة الأحقاف: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ﴾ [الأحقاف: ٢٩] حتى الجن استجابوا فكيف لا تستجيبون؟! ثم في آخرها: ﴿بَلَاءٌ فَبَلَّغْ فَهَلْ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الأحقاف: ٣٥]. ولذا تكرر فيها لفظ الإنذار: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذَرُوا مُعْرِضُونَ﴾ [الأحقاف: ٣]، ﴿وَإِذْ كُنَّا أَهْلًا عَادٍ إِذْ أُنذِرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ [الأحقاف: ٢١].

قال:

وسورة الأحقاف جاءت منذره	للكافرين المعرضين الفجرة
كذلك إهلاكهم، وصدق	وعد الإله، فهو وعد حقيق
وبينت كون الورى بحاجة	إلى رسالة نبي الرحمة

مَقْصَدُ سُورَةِ مُحَمَّدٍ

تحريضُنا على قتال الكافرين لسورة "القتال" مقصدٌ مُبينٌ
تقويةً لنا وعِزًّا وكمالاً كذاك توهينٌ لأصحابِ الضَّلالِ

مَقْصَدُ سُورَةِ الْفَتْحِ

وسورةُ الفَتْحِ أَتَتْ مُبَشِّرَةً بالفتحِ والنصرِ وكلِّ مَفْخَرَةٍ
مَقْصَدُ سُورَةِ الْحُجُرَاتِ وَقِ

تَوْقِيرُنا النَّبِيَّ وَحُسْنُ الْخُلُقِ وأدبٍ معَ جميعِ الْخَلْقِ
لِلْحُجُرَاتِ مَقْصَدٌ، وَقَافٌ قَدْ دَلَّتْ على قدرةِ رَبِّنا الصَّمَدِ

والوعظُ بالبعثِ وبالمماتِ والخوفُ والإنذارُ مما ياتي
مَقْصَدُ سُورَةِ الذَّارِيَاتِ

والذارياتُ بَشَّرَتْ وَأَنْذَرَتْ وَبِعِبَادَةِ الْإِلَهِ أَمَرَتْ

مَقْصَدُ سُورَةِ الطُّورِ

والطُّورُ قد جاءَ بساطعِ الدليلِ على بَيانِ وَحدةِ الرَّبِّ الْجَلِيلِ

مَقْصَدُ سُورَةِ النَّجْمِ

إثباتُ صدقِ الوحيِ معَ ذِمِّ الْهَوَى للنَّجْمِ مَقْصَدٌ رَوَاهُ مَنْ رَوَى

مَقْصَدُ سُورَةِ الْقَمَرِ

بَيِّنَ رَبُّنا بِسُورَةِ الْقَمَرِ دُنُوَ الْآخِرَى، وَهِيَ أَذْهَى وَأَمَرُ
وَالنَّاسُ بَيْنَ مُهْتَدٍ بِالذِّكْرِ ففائِزٌ، وَغَيْرُهُ ذُو خُسَرٍ

مَقْصَدُ سُورَةِ الرَّحْمَنِ

تذكيرُنا بِنِعْمَةِ الْمَنَّانِ قُلْ مَقْصَدُ لِسُورَةِ الرَّحْمَنِ

مَقْصَدُ سُورَةِ الْوَاقِعَةِ وَالْحَدِيدِ

شَرَحَ أحوالَ انْقِسَامِ النَّاسِ غَدًا إِلَهُنَا بِلَا التَّيْبَسِ
وذاك جَا في سورة "الواقعة" ومَقْصَدُ الْحَدِيدِ جَا في الْمُثَبَّتِ

الأمرُ بالإيمانِ والإنْفِاقِ كذا خُشُوعُ الْقَلْبِ لِلْخَلْقِ

مَقْصَدُ سُورَةِ الْمُجَادَلَةِ

قد بَيَّنَّ العَليمُ في المِجادِلَةِ حالَ المِناقِفي، وَمَنْ قد جادَلَهُ
وَكُلُّهُم أُوْعَدَهُ الجَبَّارُ بالخِزي يَومَ تَشْخَصُ الأَبْصارُ
وَوَعَدَ المَؤْمِنَ فِيمَا يَأتي بالفَوزِ بالرِضَى وبِالجَنّاتِ
هَذا وقد بَيَّنَّ فِیْها لِلْأَنامِ حُكْمَ الظَّهَارِ والتَّاجِ بِالكَلَامِ

مَقْصَدُ سُورَةِ الحَشْرِ

ومَقْصَدُ الحَشْرِ بَیانُ قَدْرَةِ وَعِزَّةِ الرَّحْمَنِ رَبِّ العِزَّةِ
وقد تَجَلَّى ذاكَ في إِجلاءِ بني النُضَيرِ، بَیْسَ هَولاءِ

مَقْصَدُ سُورَةِ المُمْتَحَنَةِ

ورُبُّنا في سَورةِ المُمْتَحَنَةِ حُكْمَ الوَلاءِ والبراءِ بَیْنَهُ

مَقْصَدُ سُورَةِ الصَّافِ

قد حَتَّنا في الصَّافِ رَبُّنا الكَرِیمُ بِالْجِدِّ في نُصرةِ دِینِهِ القَویْمِ

مَقْصَدُ سُورَةِ الجُمُعَةِ

قد مَنَّ رَبُّنا عَلَی ذِی الأَمَّةِ بِبَیْعَتِ أَحمدَ لَهُمُ في "الجُمُعَةِ"
وَحَجَّ مَنْ هادُوا، وَفِیْها أَمَرا بِالجُمُعاتِ فامَعِنَنَّ النُّظَرا

مَقْصَدُ سُورَةِ المُنَافِقُونَ

وفي "المُنَافِقِينَ" حَذَرُ الإِلَهِ مِنْهُمْ، وَكَذَبُهُمْ، فَهُمْ عِدادُهُ

مَقْصَدُ سُورَةِ التَّغَابُنِ

ومَقْصَدُ التَّغَابُنِ الإِثباتُ لِلْبَیْعَتِ والحَشْرِ، حَكى الأَثباتُ
فَلتَسْتَعدَّ أیَّما اسْتَعدادِ لِلْعَرَضِ یَومَ الجَمعِ والمَعادِ

مَقْصَدُ سُورَةِ الطَّلَاقِ

بَیَّنَ بَعضَ حُكْمِ عِدَّةِ الطَّلَاقِ إلهُنا - عَزَّ وَجَلَّ - في "الطَّلَاقِ"
وَحَتَّ فِیْها اللهُ ذُو التَّفَضُّلِ عَلَی ثِقَلاهْ وَعَلَی التَّوَكُّلِ

مَقْصَدُ سُورَةِ التَّحْرِيمِ

قَدْ حَتَّ فِي التَّحْرِيمِ زَوْجَاتِ النَّبِيِّ رَبِّي عَلَى الْأَخْلَاقِ وَالتَّأْدِبِ
مَعَ الرَّسُولِ الْمُصْطَفَى خَيْرِ الْبَشَرِ صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا النَّفْحُ انْتَشَرَ
وُخْتِمَتْ بِمَثَلَيْنِ اثْنَيْنِ فاعْنِ بِفَهْمِ الْمَثَلَيْنِ ذَيْنِ
فَالْمَرْءُ لَا يَنْفَعُهُ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا الَّذِي فِي ذِي الدُّنْيَا ادَّخَرَهُ
فَمَنْ يَكُنْ بَطَّاهُ عَمَلُهُ فَلَيْسَ يُسْرِعُ بِهِ نَسَبُهُ



سبق أن مقصود سورة الزمر الدعوة إلى التوحيد والإخلاص، ثم بعدها سورة غافر ترد على المجادلين بالباطل، ثم سورة فصلت تدعو إلى الاستجابة لله، ثم سورة الشورى تحت على الاجتماع لإقامة دين الله، ثم سورة الزخرف تحذر من الافتتان بالدنيا، ثم سورة الدخان فيها الإنذار للمكذبين ﴿إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾ [الدخان: ٣]، ثم سورة الجاثية دعوة إلى التفكر في آيات الله، ثم الأحقاف الإنذار الأخير ﴿بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

◀ ثم بعد هذا الإنذار لم يبق إلا القتال فجاءت سورة القتال ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ١]، ﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبُ الرِّقَابِ﴾ [محمد: ٤].
◀ وفيها قاعدة النصر: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَصُرُّوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

◀ لكن لاحظ أن سورة القتال سُميت سورة محمد ﷺ؛ لأن هذا القتال لا تظن أنه سفكٌ للدماء وإكراهٌ للناس على الدخول في الدين، بل هو من أعظم ما يُحمد عليه المسلمون حتى سُميت السورة باسم محمد فهو من محامد هذا الدين ومحاسنه؛ لأنه يكون للصادقين عن دين الله ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ١] فالذي يصد الناس عن هذا الدين الحق يمنع هذه الرحمة.

◀ وفي آخرها قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨] هذا من أعظم ما يحث المسلم على تعلم العلم والدعوة إليه، أنت الذي تحتاج لهذا الدين ليس الدين محتاجاً إليك ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ بل يكونون خيراً منكم.

◀ ثم بعد القتال يأتي الفتح، فسورة الفتح فيها بُشريات للمؤمنين بالفتح والتمكين.
■ والمقصود بالفتح صلح الحديبية، والسورة هذه نزلت بعد صلح الحديبية، وكان بسبب هذا الصلح أن أسلم كثير من القبائل.

■ وكان عدد الصحابة في صلح الحديبية ألفاً وأربع مئة، وقيل: ألفاً وخمس مئة، وقيل: ألفاً وثلاث مئة وكله في الصحيح.

■ ثم بعد الصلح بعد أقل من سنتين لما نقضت قريشُ العهد أتاها مع النبي ﷺ عشرة آلاف، انظر إلى أثر الأمن إذا وجد في البلاد فهذه فرصة للدعوة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أما اختلال الأمن فهذا يرجع بالدعوة إلى الوراء سنين طويلة.

قال -وقفه الله-:

مَقْصَدُ سُورَةِ مُحَمَّدٍ

تحريضنا على قتال الكافرين لسورة "القتال" مَقْصَدٌ مُبِينٌ

تقوية لنا وعِزًّا وكمالًا كذاك توهينٌ لأصحابِ الضَّلَالِ

مَقْصَدُ سُورَةِ الْفَتْحِ

وسورة الفتح أَتَتْ مُبَشِّرَةً بِالْفَتْحِ وَالنَّصْرِ وَكَلَّ مَفْخَرَهُ

فسورة الفتح بُشِّرَى للمؤمنين بالفتح والتمكين.

○ ثم سورة الحُجَرَاتِ:

◀ سورة الحجرات تقرر الإيمان، وقد كثرت فيها نداءات الإيمان.

◀ وفيها آدابُ اجتماعية تجمع قلوب المؤمنين، حتى إنها سُمِّيت سورة الآداب؛ لأنه بذلك يثبت المسلمون على النصر والتمكين.

■ ﴿لَا تَقْدَمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحجرات: ١] قال ابن عباس -رضي الله عنهما-:

"لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة".

■ ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢] فيها تعظيم مصدر التلقي، إذا

كان رفع الصوت فوق صوته ﷺ سببًا لحبوط العمل، فما الظن برفع الآراء ونتائج الأفكار على سنته ﷺ وما جاء به؟!

■ ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات: ٦].

■ ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩].

■ ﴿لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ﴾ [الحجرات: ١١].

■ ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ﴾ [الحجرات: ١٢].

فهذه السورة فيها آدابُ اجتماعية تجمع قلوب المؤمنين.

تَوْقِيرُنَا النَّبِيَّ وَحُسْنُ الْخُلُقِ وَأَدَبٌ مَعَ جَمِيعِ الْخَلْقِ

لِلْحُجَرَاتِ مَقْصَدٌ،

○ ثم سورة ق موعظةٌ عظيمة، تُذَكِّرُ الإنسان بعلم الله جل وعلا ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا

الْإِنْسَانَ وَنَعَلَّمْ مَا تَوْسَّوْسُ بِهِ نَفْسَهُ﴾ [ق: ١٦]، انتبه فأنت تحت هذه المراقبة الشديدة ﴿مَا

يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨] ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ [ق: ٢٣] أي

حاضر.

◀ وهي أيضاً تقرر البعث.

..... وَقَافٌ قَدْ دَلَّتْ عَلَى قُدْرَةِ رَبِّنَا الصَّمَدِ

وَالْوَعْظُ بِالْبَعْثِ وَبِالْمَمَاتِ وَالْخَوْفُ وَالْإِنذَارُ مِمَّا يَأْتِي

○ ثم سورة الذاريات:

◀ تُحَقِّقُ وَقُوعَ الْجَزَاءِ.

◀ وتحرر القلوب من التعلق بأسباب الرزق، فجاء القَسَمُ بأسباب الرزق ﴿وَالذَّارِيَاتُ ذُرَّوًا﴾ [الذاريات: ١] الرياح، ﴿فَالْحَامِلَاتُ وِقْرًا﴾ [الذاريات: ٢] الحاملات: السُّحُبُ، ﴿فَالْجَارِيَاتُ يُسْرًا﴾ [الذاريات: ٣] السُّفُنُ، ﴿فَالْمُقْسِمَاتُ أَمْرًا﴾ [الذاريات: ٤] الملائكة. فهي سورة تحرر القلوب من التعلق بأسباب الرزق.

◀ ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢] من خير أو شر.

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨].

◀ وانظر إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٥) آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ [الذاريات: ١٥-١٦] ما إحصائهم؟ ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (١٨) وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [الذاريات: ١٧-١٩].

■ هذا يدلُّ على أهمية العبادة، ففيه تنبيهٌ لمن يقصِّر في عبادته وفي ورد القرآن وفي النوافل بحُجَّة أنه طالب علم، هل رأيت دليلاً يُنتج نقيض مدلوله؟! كونك طالب علم يستدعي منك أن تُكثر من قراءة القرآن لا أن تقصِّر فيه.

جميعُ العلم في القرآن لكن تقاصرُ عنه أفهام الرجال

■ الذي نَقَصَ بركةَ كلامٍ كثيرٍ من طلبة العلم اليوم هو الضعف في العمل، فهو فقيه ما لم يحضر العمل، فإذا حضر العمل فهو والعامّة سواء.

ذكر ابن القيم أن هذا هو الغالب على أكثر النفوس المشتغلة بالعلم.

■ لكن انظر إلى هذه الآيات: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (١٦) كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ [الذاريات: ١٦-١٧] هذا عملٌ نفعه قاصر.

■ ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٨] كذلك نفعه قاصر.

■ ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [الذاريات: ١٩] هذا من النفع المتعدّي.

هذه تصلح هدية لمن يُهمَل التعبُّد بحُجَّة أنه طالب علم، وأن العمل المتعدّي مقدّم على القاصر، فهنا عملان قاصران ابتداءً بهما ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (١٦) كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٦-١٨]، ثم جاء العمل المتعدّي ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [الذاريات: ١٩].

◀ وقاعدة: أن العمل المتعدّي مقدّم على القاصر محلها عند التزاحم، ليس معناها

أن تتخذ هذه القاعدة ذريعةً إلى إهمال التعبدات، من أهمل هذه التعبدات خارت قواه وضعف قلبه عن حمل العلم، فمَثَلُهُ إذا ابتلي بالشُّهرة كمَثَلِ السابح الضعيف في السباحة إذا كان وحده نجا، وإذا تعلَّق به غيره غرق وغرَّق من تعلَّق به، بخلاف من له حظٌّ عظيمٌ من التعبد فإنه كالسابح النحرير تعلَّق الناس به سببُ لنجاتهم وخلصهم.

والذاريات بشَّرتْ وأنذرتْ وبعبادةِ الإلهِ أمرتْ

﴿فَفَرَّوْا إِلَى اللَّهِ﴾ [الذاريات: ٥٠] **﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾** [الذاريات: ٥٦] فأمَّرت بالعبادة.

○ ثم سورة الطور:

◀ سورة الطور إنذارٌ بنزول العذاب وتحققه **﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾** (٧) **﴿مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ﴾** [الطور: ٧-٨].

◀ وفيها **﴿فَمَنْ لَّهِ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾** [الطور: ٢٧] هذا العذاب يدخل في مسام الجلد؛ ففيه تحقق وقوع العذاب **﴿حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾** [الطور: ٤٥] وفي غير هذا الموضع: **﴿الَّذِي يُوعَدُونَ﴾** فهذا يتناسب مع وقوع العذاب.

◀ وفيها أيضاً عرض الحجج والبراهين لردِّ شُبُهات المكذِّبين وإرغامهم بهذه الحجج على الإذعان والتسليم.

■ **﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾** أي من غير خالقٍ يخلقهم! لا يمكن أن يوجد مخلوق من غير خالق.

■ **﴿أَمْ هُمُ الْخَالِفُونَ﴾** [الطور: ٣٥] الذين خلقوا أنفسهم هذا أيضاً لا يمكن فلا يمكن أن يوجد مخلوقٌ يخلق نفسه.

فإذا بطل هذان تعيَّن الثالث وهو

■ أن الله تعالى هو الذي خلقهم، وإذا تبَيَّن ذلك تبَيَّن أنه سبحانه وحده المستحق للعبادة.

قال -وفقّه الله-:

والطُّورُ قد جاءَ بساطعِ الدليلِ على بيانِ وحدةِ الرَّبِّ الجليلِ

○ ثم سورة النجم:

◀ سورة النجم تقرّر صدق الوحي.

هاهو الوحي ترونه رؤيةً محققة كيف ينزل جبريل على النبي ﷺ، ذكر الله تعالى ذلك في أول السورة: **﴿ثُمَّ دَنَا﴾** أي دنا جبريل عليه السَّلام من النبي ﷺ **﴿فَتَدَلَّى﴾** [النجم: ٨]

اقترب فازداد قُرْباً، **﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾** [النجم: ٩] بمقدار قوسين أو أقرب، **﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ﴾** أي أوحى جبريل إلى عبد الله محمد ﷺ **﴿مَا أَوْحَى﴾** [النجم: ١٠].

◀ وأبطل الله -تعالى- فيها الشرك، فبيَّن أن التوحيد قائمٌ على هذا الوحي المحقق من الله سبحانه وتعالى، أما الشرك فهو قائمٌ على الأهواء والظنون **﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾**

وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ [النجم: ٢٣].

إثبات صدق الوحي مع ذم الهوى للنجم مقصد رواه من روى

○ ثم سورة القمر:

في آخر النجم ﴿أَزِفَتِ الْأَزِفَةُ (٥٧) لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ [النجم: ٥٧-٥٨] فجاءت سورة القمر ﴿افْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١].
 < فيها الإنذار ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾، ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ وقد تكرر ذلك فيها.

< وفيها الحث على التذكّر بالقرآن لذا تكرر فيها: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾.

بَيِّنَ رَبُّنَا بِسُورَةِ الْقَمَرِ دُنُو الْآخِرَى، وَهِيَ أَذْهَى وَأَمَرُ

وَالنَّاسُ بَيْنَ مُهْتَدٍ بِالذِّكْرِ فَفَائِزٌ،

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٤-٥٥].
 (وغيره ذو خسر) ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ (٤٧) يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ [القمر: ٤٧-٤٨].

○ ثم سورة الرحمن:

< فيها رحمت كثيرة في الدنيا والجنة، أول رحمة وأعظم رحمة ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ [الرحمن: ٢]، فسورة الرحمن تُذكر بنعم الله سبحانه وتعالى.

< وهنا سؤال مشهور يقولون: كيف يكون مثلاً ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ﴾ [الرحمن: ٣١]، ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ [الرحمن: ٤٣]، ﴿يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالْأَنْوَاصِي وَالْأَفْدَامِ﴾ [الرحمن: ٤١]، ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ﴾ [الرحمن: ٣٥] كيف يكون ذلك نعمة لأنه جاء بعد كل هذه ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟

والجواب: أنها كلّها نعم جسام؛ لأن الله تعالى هدّد العباد بها استصلاحاً لحالهم ليخرجوا من الكفر والطغيان إلى الطاعة والإيمان.

فمن حدّرك من طريق الردى وبيّن لك ما فيه، وحثّك على طريق السلامة الذي يوصلك إلى الجنة كان منعماً غاية الإنعام.

قال الناظم:

تذكيرنا بنعمة المنان قل مقصد لسورة الرحمن

○ ثم سورة الواقعة:

< ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١) لَيْسَ لَوْفَعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ [الواقعة: ١-٢] يعني إذا وقعت فلا توجد نفس تُكذب بها، وهي ﴿خَافِضَةٌ﴾ للكفار بإدخالهم في النار، و﴿رَافِعَةٌ﴾ [الواقعة: ٣] للمؤمنين

بإدخالهم الجنة.

◀ ترى فيها انقسام الناس ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ [الواقعة: ٧] وبذلك ينتهي الجزاء ويذهب كلٌّ إلى مصيره.

شَرَحَ أَحْوَالَ انْقِسَامِ النَّاسِ غَدَا إِلَهْنَاهَا بِلَا التَّبَاسِ

وذاك جا في سورة "الواقعة"

◀ في آخرها ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٧٤] فجاءت المسبِّحات وأولها الحديد. ○ سورة الحديد.

لها مقصدان:

◀ الإيمان.

◀ والإنفاق.

ترى ذلك في آياتها:

■ ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا﴾ [الحديد: ٧] إيمان وإنفاق.

■ ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ﴾ [الحديد: ٨] هذا الإيمان.

■ ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا﴾ [الحديد: ١٠] هذا الإنفاق.

■ ﴿إِنَّ الْمُسْذِقِينَ وَالْمُصْذِقَاتِ﴾ [الحديد: ١٨] هذا الإنفاق، وفي قراءة بدون تشديد ﴿إِنَّ

الْمُصْذِقِينَ وَالْمُصْذِقَاتِ﴾ هذا الإيمان.

◀ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ

أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ [الحديد: ١٩] الصديقية أعلى مقامات الإيمان، والشهادة أعلى مقامات البذل والإنفاق "والجود بالنفس أقصى غاية الجود".

◀ وفي آخرها رهبانية النصارى، هذا عكس نصر الدين فالسورة جاءت بتقرير

نصر الدين، الحديد فيه بأسٌ شديد به يُنصر دين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ومقصد الحديد جا في المُثَبَّتِ

الأمر بالإيمان والإنفاق كذا خُشُوعُ الْقَلْبِ لِلْخَلْقِ

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾

[الحديد: ١٦].

◀ لكن لا تيأس ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الحديد: ١٧]، الذي يحيي

الأرض بعد موتها قادرٌ على إحيائكم بعد موتكم، وقادرٌ أيضاً على أن يحيي قلوبكم ويلينها بعد قسوتها.

○ سُورُ جزء قد سمع:

◀ تدور على الحث على الاجتماع.

◀ والتحذير من كيد المنافقين واليهود الذين يسعون في تفريق جماعة المسلمين.
■ سورة المجادلة حذر الله تعالى فيها من المنافقين من نجواهم، فهؤلاء حزب الشيطان.

■ وفي المقابل ذكر الله حزبه ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].
■ برز فيها موضوع علم الله سبحانه وتعالى من أولها ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١] سَمِعَ .. يَسْمَعُ .. فيها سعة اطلاعه سبحانه وتعالى على أحوال عباده.

◀ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧].
◀ انظر كيف كان من أراد أن يناجي النبي ﷺ فإنه يتصدق أولاً ثم يناجيه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المجادلة: ١٢].
ثم نسخت ﴿أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا﴾ [المجادلة: ١٣] الآية.

لكن إذا كانت مناجاة النبي ﷺ بهذه العظمة فكيف بمناجاة الله سبحانه وتعالى؟ انظر كيف شرع قبل الصلاة الوضوء، والتبكير للمسجد، والأذان، والسنة القبلية، والإقامة، ثم بعد ذلك الصلاة التي هي مناجاة لله سبحانه وتعالى، فهذا الحكم المنسوخ يمكن أن تستفيد منه هذه الفائدة.

قال:

قد بين العليم في المجادلة حال المنافق، ومن قد جادله
وكلهم أوعده الجبار بالخزي يوم تشخص الأبصار
ووعده المؤمن فيما ياتي بالفوز بالرضى وبالجنات
هذا وقد بين فيها للأنام حكم الظهار والتناجي بالكلام

◀ في آخر سورة الحديد ذم الرهبانية، من صور الرهبانية: تحريم الزوجة بالظهار، فنفت السورة الرهبانية وجمعت شمل الأسرة.

○ ثم سورة الحشر:

◀ سورة الحشر طردت اليهود الذين يريدون تفريق المسلمين والكيد بهم، وأظهرت المجتمع المسلم بمظهر الاجتماع ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ [الحشر: ٩]، ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر: ١٠] تجد التراحم والتلاحم في المجتمع المسلم، بخلاف الكفار

﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ [الحشر: ١٤].

◀ وبرز في هذه السورة أن الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى هو المتصرف في الأمور.

◀ هذه الغزوة - غزوة بني النضير - إذا قرأت آيات السورة تشعر أن الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى

تولّاها بكل أحداثها ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾، ﴿فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ [الحشر: ٢]، ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٥]، ﴿فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ [الحشر: ٦] فالله

سُبحَانَهُ وَتَعَالَى هو الذي تولّاها بكل أحداثها، وهذا من أسرار ختم السورة بالأسماء الحسنى؛ لأنه برز في السورة أن الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى هو وحده المتصرف.

قال:

ومقصد الحشر بيان قدرة وعزة الرحمن رب العزة

◀ فيها بيان قوة الله وعزته في نصر المؤمنين، وتوهين الكافرين والمنافقين.

وقد تجلّى ذاك في إجلاء بني النضير، بيس هؤلاء

○ ثم سورة الممتحنة:

◀ موضوعها الولاء والبراء ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [الممتحنة: ١].

■ من أظهر صور البراءة من الكفر ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهَا﴾ [الممتحنة: ١٠]، رابطة الإيمان قطعت هذه الصلة بينها وبين زوجها، هذا الميثاق الغليظ قطعته رابطة الإيمان؛ فالولاء والبراء إنما يكون على التوحيد والإيمان.

وربنا في سورة الممتحنة حُكْمُ الولاء والبراء بَيْنَهُ

○ ثم سورة الصف:

◀ سورة الصف فيها حثُّ المؤمنين على نصره الدين، وفي أولها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢].

تأمل .. هذه السورة التي تحثُّ على نصره الدين أول ما فيها إصلاح النفس ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾.

قال البخاري في صحيحه: "باب عمل صالح قبل القتال".

وقال أبو الدرداء: "إنما تقاتلون بأعمالكم" يعني إن كانت أعمالكم صالحة كافأكم

الله تعالى عليها بالنصر.

ثم ذكر البخاري هذه الآيات: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ

مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الصف: ٢-٣] الآيات.

فهذه السورة تحثُّ المؤمنين على نصره الدين.

قال -وفقه الله-:

قد حنَّنا في الصَّفِّ ربُّنا الكريمُ بِالْجِدِّ في نُصْرَةِ دينِهِ القويمِ

○ ثم سورة الجمعة:

◀ فيها الامتنان على هذه الأمة بالرسول ﷺ، والتحذير من مخالفته ومشابهة أهل الكتاب.

◀ وفيها الحث على الاجتماع على ذكر الله وتزكية النفوس.

قد مَنْ رَبُّنا على ذِي الأُمَّةِ بِبَعَثِ أَحْمَدَ لَهُم في "الجمعة"

وَحَجَّ مَنْ هَادُوا، وفيها أَمَرًا بِالْجُمُعَاتِ فامْعَنَ النَّظْرَا

○ ثم سورة المنافقون:

◀ فيها التحذير من كيد المنافقين الذين يريدون تفريق كلمة بين المسلمين.

﴿كَانَ لَهُمْ خُشْبٌ مُسَنَّدَةٌ﴾ [المنافقون: ٤] الخُشْبُ إذا أُسْنَدَتْ على الجدار معنى هذا أنها لا

فائدة منها، إذا كانت سقفاً أو باباً أو نافذةً فهذه فيها فائدة، أما إذا كانت مسندة فلا فائدة

منها، وهذه حال المنافقين ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ أي لجبنهم

﴿هُمْ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا﴾ [المنافقون: ٧].

حُبُّ الدنيا هو سبب النفاق.

◀ فجاء في آخرها تحذير المسلمين من صفات المنافقين ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا

تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [المنافقون: ٩].

قال:

وفي "المُنافِقِينَ" حَذَرُ الإِلَهِ مِنْهُمْ، وَكَذَّبَهُمْ، فَهُمْ عِداة

○ ثم سورة التغابن:

وهذه آخر المسبِّحات التي في جزء قد سمع، خُتِمَتِ المسبِّحات في جزء قد سمع

بسورة التغابن، وقد بقيت واحدة في القرآن وهي التي في سورة الأعلى.

◀ سورة التغابن تُحذِّرُ مما يحصل به الغبن والخسارة يوم القيامة.

بَيَّنَّتْ أن الخسارة الحقيقية هي الخسارة في ذلك اليوم ﴿ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ [التغابن: ٩].

﴿ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ فيه أسلوب قصر؛ وذلك في تعريف الجزأين: ﴿ذَلِكَ﴾ معرفة؛

لأنه اسم إشارة، ﴿يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ يوم معرفة؛ لأنه أضيف إلى معرفة.

وتعريف الجزأين من طرق القصر، معنى هذا أن الغبن الحقيقي هو الغبن في

الآخرة، وكل غبن في أمور الدنيا فليس بغبن في الحقيقة.

ذكر هذا المعنى الطاهر ابن عاشور في كلام جميل ثم قال: "هذا هو المتعین في

تفسير هذه الآية، وأكثر المفسرين مرَّ بها مرًّا، ولم يحتلب منها درًّا، وها أنا ذا كدَدْتُ

ثِمَادِي، فعسى أن يقع للناظر كوقع القراح من الصادي، والله الهادي". وقد وقع كذلك

فجزاه الله خيرًا.

ومَقْصِدُ التَّغَابُنِ الْإِثْبَاتُ لِلْبَعْثِ وَالْحَشْرِ، حَكَى الْإِثْبَاتُ
فَلْتَسْتَعِدَّ أَيَّامَ اسْتِعْدَادِ لِلْعَرْضِ يَوْمَ الْجَمْعِ وَالْمَعَادِ

○ ثم سورة الطلاق:

◀ فيها أحكام الطلاق وآدابه، وهذه السورة تؤدي إلى الوفاق، وفيها الحثُّ على تقوى الله وعلى التوكل، قال:

بَيِّنَ بَعْضَ حُكْمِ عِدَّةِ الطَّلَاقِ إِنْهَا - عَزَّ وَجَلَّ - فِي "الطَّلَاقِ"

وَحَثَّ فِيهَا اللَّهُ ذُو النَّفْضِ عَلَى تَقْضَاهُ

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق:٢]، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق:٤]، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ [الطلاق:٥]، (وعلى التوكل) ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق:٣].

○ ثم سورة التحريم:

◀ فيها الحثُّ على تربية الأهل.

◀ من حُسن عشرته ﷺ أنه حرَّم ما أحلَّ الله له ﴿تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ﴾ [التحريم:١]، سلَّاه في هذه السورة.

◀ وحثَّ المؤمنين على تربية أهلهم ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم:٦].

◀ ثم جاءت الموعظة بامرأة نوح وامرأة لوط، وفي المقابل بامرأة فرعون وبمريم.

◀ في آخر سورة الطلاق ﴿لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق:١٢] العلم برز في سورة التحريم ﴿قَالَتْ مَنْ أَنْبَاكَ هَذَا قَالَ نَبَايَ الْعَلِيمِ الْخَبِيرِ﴾ [التحريم:٣]، والقُدرة برزت في سورة المُلْك ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ [الملك:١].

قال -وقفه الله:-

قَدْ حَثَّ فِي التَّحْرِيمِ زَوْجَاتِ النَّبِيِّ رَبِّي عَلَى الْأَخْلَاقِ وَالتَّأْدِبِ

مع الرسولِ الْمُصْطَفَى خَيْرِ الْبَشَرِ صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا النَّفْحُ انْتَشَرَ

وُخْتِمَتْ بِمَثَلَيْنِ اثْنَيْنِ فَاعْنِ بِفَهْمِ الْمَثَلَيْنِ ذَيْنِ

■ امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت نبيين فلم ينفعهما ذلك، فعلاقة الكافر بأهل الإيمان لا تنفعه حتى يستقيم هو على الإيمان.

■ والمثل الآخر: امرأة فرعون لما أمنت لم تضرَّها صلتها بالكافر.

وأيضًا في الآية التي بعدها: ضرب الله مثلًا لمن آمن بمريم الصديقة التي حفظت فرجها وصدقت وكانت مطيعةً لله.

فالمراء لا ينفعُهُ في الآخرة إلا الذي في ذي الدنيا ادَّخرُهُ
فمَنْ يَكُنْ بَطْأَهُ عَمَلُهُ فليس يُسرِعُ بِهِ نَسَبُهُ

مَقْصَدُ جُزْئِي الْمُلْكِ وَعَمِّ

وَالْمُلْكَ جُزْؤُهَا وَعَمِّ دَلًّا
وَوَصَفِهِ بِأَكْمَلِ الْوَصْفِ، فَمَا
جَلَّ جَلَالُهُ، وَقَدْ تَعَالَى
وَوَصَفَ الْإِلَهَ فِي الْجَزَائِنِ
وَمَا أَعَدَّهُ مِنَ الْجَزَاءِ
وَوَعَدَ الْكُفَّارَ بِالرَّجْزِ الْأَلِيمِ
هَذَا وَمِمَّا جَاءَ فِي الْجَزَائِنِ
قُدْرَتُهُ سُبْحَانَهُ عَلَى النَّشُورِ
حَيٍّ فَلَا يَفْنَى وَلَا يَبِيدُ
الْخَالِقُ الرَّازِقُ وَالْقَدِيرُ
لَا تَبْلُغُ الْأَوْهَامُ كُنْهَهُ وَلَا
قَدْ اسْتَحَقَّ كُلَّ وَصْفٍ قَبْلًا
جَلَّ عَنِ الْمَثِيلِ وَالنَّظِيرِ، لَا
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى التَّمَامِ
أَسْأَلُهُ -وَهُوَ يُجِيبُ السُّؤَالَ-
وَالنَّفْعَ لِي بِهِ وَالطَّلَابِ
وَأَنْ يُعِينَنَا عَلَى تَدْبِيرِهِ
يَا رَبَّنَا يَا قَاضِيًا لِلْحَاجِ
وَصَالِيًا وَسَلَّامًا أَبَدًا

جُلُّهُمَا عَلَى الْإِلَهِ جَلًّا
أَعْظَمَهُ سُبْحَانَهُ وَأَحْكَمًا
عَنْ نَاقِصٍ، بَلْ أَحْرَزَ الْكَمَالَ
يَوْمَ الْمَعَادِ، فَتَأْمَلْ ذِينَ
لِلْمُؤْمِنِينَ الْغُرِّ الْآتِقِيَاءِ
فَإِنَّهُمْ يَصْلَوْنَ فِي النَّارِ الْجَحِيمِ
عِدَّةَ مَرَّاتٍ بَدُونِ مَيِّنٍ
وَكَيْفَ لَا وَهُوَ مُدَبِّرُ الْأُمُورِ
وَلَا يَكُونُ غَيْرُ مَا يُرِيدُ
الصَّمَدُ الْغَنِيُّ وَالْخَبِيرُ
تُدْرِكُهُ الْأَفْهَامُ، جَلَّ وَعَلَا
إِنْشَائِهِ لِلْعَالَمِينَ كُلًّا
إِلَهَ إِلَّا هُوَ جَلَّ وَعَلَا
لِنَظْمِنَا ثُمَّ عَلَى الْإِنْعَامِ
الْعَوْنُ وَالتَّوْفِيقُ وَالْقَبُولُ
وَأَنْ أَكُونَ خَادِمَ الْكِتَابِ
وَفَهْمِنَا لِآيِهِ وَعِبْرِهِ
أَجِبْ، فَأَنْتَ مَلْجَأُ الْمُحْتَاجِ
عَلَى النَّبِيِّ، وَصَحْبِهِ أُولَى الْهُدَى



هذه الأبيات واضحة المعنى.

تَرْجِعْ مَقَاصِدُ سُورٍ جِزءَ تَبَارَكَ وَجِزءَ عَمَّ إِلَى تَقْرِيرِ الْبَعْثِ وَالْإِخْبَارِ عَنِ اللَّهِ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَعَنِ الْيَوْمِ الْآخِرِ.

ولعل المناسب أن نمرّ مروراً سريعاً على سُورِ هذين الجزأين سورةً سورةً نتعرّف
على مقاصدها، وشيء يسيرٍ من المناسبات بينها:
○ سورة الملك:

◀ قَرَّرَ اللَّهُ فِيهَا التَّوْحِيدَ مِنْ خِلَالِ صُورِ مُلْكِهِ.

هذه السورة تعرض صوراً من ملك الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهي من أعظم ما يرسيخ
التوحيد في القلوب، ولذلك كانت مانعةً من عذاب القبر، والتوحيد مانع من عذاب القبر،
وأُسْئَلَةُ القبر الثلاثة هي في التوحيد: من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟

وقد صحّ عن ابن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «مَنْ قَرَأَ ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ كُلَّ

لَيْلَةٍ مَنَعَهُ اللَّهُ بِهَا مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَكُنَّا فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَسْمِيهَا الْمَانِعَةَ، وَإِنِهَا
فِي كِتَابِ اللَّهِ سُورَةٌ مِنْ قَرَأَ بِهَا فِي كُلِّ لَيْلَةٍ فَقَدْ أَكْثَرَ وَأَطَابَ» فينبغي أن نحرص على
قراءتها كل ليلة.

◀ ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ [الملك: ٢] هذا من أعظم صور الملك.

◀ ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾ [الملك: ٣] هذه أعظم المخلوقات المشاهدة للناس.

◀ ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ (٣) ثُمَّ
ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك: ٣-٤] كأنها حربٌ بين
السماء والبصر، يحاول البصر أن يبحث عن نقصٍ في السماوات فلا يجد، فيرجع
حسيراً معترفاً بعجزه.

◀ ثم جاء وصف النار وذكر اعتراف أهلها ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا
فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (١٠) فَاعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ﴾ [الملك: ١٠-١١]، أي لو كنا نسمع سماعاً يُنتفع
به أو نعقل عقل من يميّز بين الحق والباطل ما كُنَّا من أهل النار، بل كنا نؤمن بالرسول
ونكون من أهل الجنة؛ فكل من عصى الله فهذا نقصٌ في العقل ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ
نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾.

◀ ثم ذكر الأرض، ثم الطير.

◀ ثم ذكر مثل الموحّد والكافر ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي
سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الملك: ٢٢] هذا مثل الموحّد والكافر، تخيل الصورة الحسيّة:
أمامك إنسان منكوس يمشي على وجهه -نسأل الله العافية-.

◀ ﴿مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ﴾ هذه استعارةٌ في سلوك طريق الضلال، لكنها حقيقةٌ في
الآخرة ﴿وَنُحْشِرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمًى وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [الإسراء: ٩٧]، ﴿الَّذِينَ
يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٤].

◀ وقد قرئت الآية الأخيرة على بعض المتجبرين ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ

غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ [الملك: ٣٠] فقال: تجيء به الفؤوس والمعاول. فأذهب الله ماء عينيه. أشار إليها الزمخشري.

○ ثم سورة القلم:

◀ فيها تقرير النبوة من خلال حُسن أخلاقه ﷺ **﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾** [القلم: ٤] وقد سماها شيخ الإسلام ابن تيمية سورة الخُلُق.

◀ ثم ذكر سوء أخلاقهم **﴿وَلَا تَطْغُ كُلَّ خَلَافٍ مَّهِينٍ (١٠) هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾**

[القلم: ١٠-١١].

◀ وفيها التحذير من الأخلاق الفاسدة التي منها الكِبَرُ ومنع الفقراء حقهم والبُخل.

◀ وخُتِمت بالخلُق الجامع **﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾** [القلم: ٤٨].

كل الأخلاق الحسنة مرجعها إلى الصبر **«وما أعطي أحدٌ عطاءً خيراً وأوسع من**

الصبر».

○ ثم سورة الحاقة:

◀ فيها إحقاق الحق وبيان الجزاء، برز فيها إحقاق الحق في الدنيا بهلاك المكذبين.

ومن عِظَم إحقاق الحق أن الله - عز وجل - ينزل يوم القيامة للفصل والجزاء، ثم

ذكر الجزاء مفصّلاً **﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَأُوا كِتَابِيهِ﴾** [الحاقة: ١٩]

الآيات، **﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهِ﴾** [الحاقة: ٢٥] الآيات.

◀ وذكر في ختامها أن الوحي حق **﴿تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾** [الحاقة: ٤٣].

﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ

الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٤-٤٧] سبحانه الله الحق فوق كل

أحد.

◀ وفي آخرها: **﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ (٥١) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾** [الحاقة: ٥١-٥٢] فهي

سورة إحقاقٍ للحق، وحقُّ اليقين أعلى مراتب اليقين.. علم اليقين، فعين اليقين، فحق

اليقين.

علم اليقين وعين اليقين في سورة التكاثر **﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (٥) لَتَرَوُنَّ**

الْجَحِيمَ (٦) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٥-٧]، وحق اليقين في هذه السورة سورة

الحاقة وفي سورة الواقعة.

لو أن رجلاً صادقاً قال لك: عندي غسلٌ سأذيقك منه -إن شاء الله-، وأنت صدّقته

فهذا علم اليقين، فلو أنه جاءك به بين يديك وأراك إيّاه فهذا عين اليقين، هذا فوق علم

اليقين، فلو أنك ذقته فهذا حق اليقين، كذلك المؤمنون إيمانهم بالجنة هذا علم اليقين، فإذا

أُزلفت يوم القيامة ورأوها فهذا عين اليقين، فإذا دخلوها فهذا حق اليقين.

وهذه السورة سورة الحاقة فيها إحقاق الحق، فالذي جاء فيها هو أعلى مراتب

اليقين الذي هو حق اليقين.

○ ثم سورة المعارج:

◀ أمام هذا الحق -الذي رأيته في سورة الحاقة- إذا بهم يستعجلون العذاب **﴿سَأَلْ**

سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ [المعارج: ١].

﴿ فهذه السورة تحذّر من العجلة، فـ"سأل" يتعدى بعن كما قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ﴾، لكن هنا عُدِّي هذا الفعل بالباء لأنه ضُمِّن معنى الاستعجال.. سأل واستعجل بعذاب واقِع، فهو لا يسأل سؤال استفهام بل هو يستعجل بالعذاب، فالسورة تعالج هذه الطبيعة الفاسدة وهي طبيعة الاستعجال.

﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ [المعارج: ٥] أمام هذا الاستعجال.

﴿ وذكر شيئاً من أهوال الآخرة (وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا (١٠) يُبْصِرُونَهُمْ﴾ [المعارج: ١٠-١١] كل واحد يبصر الآخر لكن لا يسأل عنه؛ لأنه مشغول بنفسه.

قال قتادة: "يُشْغَلُ كُلُّ إِنْسَانٍ بِنَفْسِهِ عَنِ النَّاسِ".

﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ [المعارج: ١٩] والهلع هو الحرص والجزع، والآيتان بعد هذه الآية تفسّرانها: ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ [المعارج: ٢٠-٢١] فالهلع هو الذي إذا مسّه الشرُّ جزع، وإذا مسّه الخير منع.

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ [المعارج: ٢٣] من المداومة أي الاستمرار على الصلاة، ويُفسّر أيضًا بالسكون والخشوع.. دائمون أي خاشعون فلا يستعجلون، وفي الحديث: «لا يبولن أحدكم في الماء الدائم» أي الذي لا يجري فالدائم الساكن.

﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ من معناها السكون، يسكنون في صلاتهم، وهذا منافع للاستعجال الذي تعالجه هذه السورة، وهذا فيه أن من أعظم ما يزكي النفس ويعالجها من هذه الطبيعة الفاسدة هو الصلاة.

○ ثم سورة نوح:

﴿ تحتُّ على الصبر في الدعوة إلى الله تعالى كما صَبَرَ نوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فهي تعرض دعوة نوح عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ تشبيهاً للنبي ﷺ، وتشبيهاً للدعاة إلى الله أمام العجلة التي ذُكرت في سورة المعارج.

نوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ صَبَرَ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴿إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا (٥) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا (٦) وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا (٧) ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا (٨) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ [نوح: ٥-٩] يجلس مع كل واحدٍ بينه وبينه يدعوهم إلى الله تعالى.

﴿ وتُخْتَمُ السورة التي فيها هذه الدعوة العظيمة الطويلة إلى التوحيد بالدعاء بالمغفرة، مهما قدّمت للدين فأنت مقصّر فاستغفر: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ [نوح: ٢٨].

○ ثم سورة الجن:

﴿تسليّة للنبي ﷺ والمؤمنين.

إذا لم يؤمن بك هؤلاء فقد آمن بك الجن.

وانظر كيف كان إيمان الجنّ قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ [الجن: ١-٢].

إيمان الجن كان مبنياً على تدبُّر القرآن، فتدبر القرآن هو الأصل في زيادة الإيمان. ذكره ابن سعدي في تفسير هذه الآية.

وذكر ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا﴾ [الجن: ١١] أن الأعمش قال: تَرَوِّحَ إِلَيْنَا جَنِّي فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَحَبُّ الطَّعَامِ إِلَيْكُمْ؟ فقال: الأرز، قال: فأتيناهم به، فجعلت أرى اللُّقْم تُرْفَعُ وَلَا أَرَى أَحَدًا، فَقُلْتُ: فَيْكُمْ مِنْ هَذِهِ الْأَهْوَاءِ الَّتِي فِينَا؟ قال: نعم، قلت: فما الرافضة فيكم؟ قال: شَرُّنَا.

قال ابن كثير -بعد ذكر هذا الأثر-: عرضتُ هذا الإسناد على شيخنا الحافظ أبي الحَجَّاج المَزِّي فقال: هذا إسنادٌ صحيحٌ إلى الأعمش. ذكره في تفسير: ﴿وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا﴾ [الجن: ١١] أي كنا فرقا مختلفة وأهواء متباينة.

○ ثم سورة المزمِّل:

﴿فيها الزاد للداعية بقيام الليل.

الدعوة تحتاج إلى زادٍ عظيمٍ من الإيمان، لن تستطيع أن تتحمَّلَ أعباء الدعوة إلا بزادٍ عظيم، كيف تُحصِّله؟ تحصِّله بقيام الليل، وسورة المزمِّل من أول ما نزل، وقد كان قيام الليل فرضاً واجباً على النبي ﷺ والصحابة سنةً كاملة، حتى نزلت الآية الأخيرة ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ﴾ وفيها: ﴿عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ [المزمِّل: ٢٠] فنُسِخَ الوجوب في حق النبي ﷺ والأمة، أو في حق الأمة فقط دون النبي ﷺ قولان عند الفقهاء.

﴿إذا تهيأت للدعوة ماذا بعد ذلك؟

بعد ذلك ﴿فَمُ فَاذْنِرْ﴾ [المدثر: ٢]، فبعد سورة المزمِّل سورة المدثر ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) فَمُ فَاذْنِرْ﴾ [المدثر: ١-٢] إذا قرأت المدثر والمزمِّل تشعُر بأن وقت الراحة والنوم قد انتهى بعد نزول الوحي وجاء وقت الجدِّ، فهذه السورة تأمر بالإنذار، وفيها: ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ [المدثر: ٣٧] يعني ليس في هذه الدنيا وقوف؛ إما أن تتقدم إلى الله أو تتأخر، في كل لحظة إما أن تتقدم أو تتأخر، حتى إذا جلست الآن بدون شيء باعتبار سبق الصالحين وعملهم فإنك تأخرت في الواقع.

لحظة يا صاحبي إن تغفل ألف ميل زاد بُعد المنزل

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنْ أَسْمَائِهِ الْمَقْدِمِ الْمُؤَخَّرِ.

﴿سورة في النذارة ﴿فَمُ فَاذْنِرْ﴾ [المدثر: ٢]، خُتِمَتْ بِالْمَغْفِرَةِ ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ [المدثر: ٥٦] فرحمة الله سبقت غضبه. ثم من أعظم ما يُنذَر "يومُ القيامة".

○ فجاءت سورة القيامة:

◀ فيها تقرير الجمع يوم القيامة ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ [القيامة: ٣]، ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ [القيامة: ٩].

◀ كما ذكر الله تعالى هذا الجمع الكوني العظيم في هذه السورة ذكر أعظم جمع شرعي وهو جمع القرآن في صدر النبي ﷺ ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٧].
◀ وذكر الله فيها القيامة الصغرى والكبرى، الصغرى بالموت ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ الثَّرَاقِي﴾ [القيامة: ٢٦] الآيات، والكبرى بالبعث.

○ ثم مقابل هذا الإنذار في المذثر والتخويف في القيامة جاءت سورة الإنسان:

◀ فيها دعوة الإنسان للإيمان بالآخرة.
لكنها دعوة لطيفة فيها الترغيب في النعيم، في هذه السورة آية واحدة في جزاء الكفور، ثم كل الآيات في جزاء الشاكر ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا﴾ [الإنسان: ٤]، ثم ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ [الإنسان: ٥] والآيات بعد ذلك كلها في الترغيب في النعيم.

◀ وفي آخرها: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ﴾ [الإنسان: ٢٩] وزن تَفْعِلَةٌ يأتي لما يؤدي إلى الشيء وهذا هو مقصود السورة، فالسورة تؤدي إلى التذكُّر، فهي تذكرة لطيفة للإنسان.

○ ثم سورة المرسلات:

◀ فيها الوعيد بالويل للمكذِّبين مع إثبات الجزاء: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ (٧) فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ (٨) وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ (٩) وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ (١٠) وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِيتَتْ (١١) لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ (١٢) لِيَوْمِ الْفَصْلِ (١٣) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ [المرسلات: ٧-١٤] فهي تثبت الجزاء.

وفي آخرها: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [المرسلات: ٥٠].

○ بعدها ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾:

◀ جزء عم يقرّر اليوم الآخر، ويذكرك بأن مصيرك في ذلك اليوم هو بحسب عملك اليوم.

◀ وقد اختلف في النبا العظيم هل هو البعث أو القرآن وهما متلازمان، لكن قبل الجواب عن هذه المسألة كثيراً ما يأتي في القرآن تقرير البعث بأربعة طرق:

١- التنبيه بخلق الإنسان أول مرة.

مثل قوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: ٢٩].

٢- التنبيه بإحياء الأرض بعد موتها.

مثل: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى﴾ [فصلت: ٣٩] نبهك بإحياء الأرض بعد موتها على القدرة على البعث.

٣- التنبيه بخلق السماوات والأرض.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ

يُحْيِي الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿[الأحقاف: ٣٣]﴾، ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧].

٤- إحياء الموتى في الدنيا.

وفي سورة البقرة خمس قصص في إحياء موتى في الدنيا. هذه الطُّرُق الأربعة كلها في سورة النبأ، فهذه السورة جمعت أدلة تقرير البعث المتفرقة في القرآن.

- التنبيه بخلق الإنسان أول مرة: ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [النبأ: ٨].

- التنبيه بإحياء الأرض بعد موتها: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا (١٤) لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا﴾ [النبأ: ١٤-١٥] هذا فيه تنبيه بإحياء الأرض بعد موتها على البعث.

- التنبيه بخلق السماوات والأرض: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ [النبأ: ١٢].

- التنبيه بإحياء الموتى في الدنيا: ﴿وَجَعَلْنَا نُومَكُمْ سُبَاتًا﴾ [النبأ: ٩] قاطعاً لأعماركم ثم إذا استيقظتم فهذا يُشبه النشور، تقول إذا استيقظت: «الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا».

إذا عرفت مقصود السورة فإن ذلك يعينك على الترجيح.

فالسورة من أولها إلى آخرها في تقرير البعث، وهذا يرجح أن المقصود بالأصالة بالنبأ العظيم هو البعث.

○ ثم سورة النازعات:

أول ما ذكر فيها هو الموت وهو أول منازل الآخرة، ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (١) وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾ [النازعات: ١-٢] ثم قال: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى (٣٤) يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى﴾ [النازعات: ٣٤-٣٥] فهي تهوّل من يوم القيامة، فالذي في قلبه خشية سيتذكر ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مَنْ يَخْشَاهَا﴾ [النازعات: ٤٥].

جاء هذا في سورة عبس: ﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى (٨) وَهُوَ يَخْشَى (٩) فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾ [عبس: ٨-١٠]، وجاءت لتهويل الآخرة وبراهينها وأهوالها ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ [عبس: ٣٤] الآيات.

○ ثم ما الذي يحصل، لماذا يفرّ المرء من أخيه؟ ما هذه الأهوال؟

بينتها سورة التكويد: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (١) وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ [التكويد: ١-٢] إلى أن قال: ﴿عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾ [التكويد: ١٤].

○ ثم بعد ذلك سورة الانفطار:

سورة التكويد تذكّر اليوم الآخر وفيها ترهيب، بعكس سورة الانفطار ففيها ترغيب: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦].

وذكر الله فيها صحيفة الإنسان التي يملئها في الدنيا ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾ [الانفطار: ١٠-١١] هؤلاء لا يغفلون ولا أدنى مثقال ذرة، حتى التطفيف اليسير يكتب.

○ فجاءت سورة المطففين:

ذكر الله فيها صحيفة الإنسان في البرزخ: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾

[المطففين: ٧]، ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلَيَيْنَ﴾ [المطففين: ١٨] هذه صحيفة الإنسان في البرزخ. وفيها التذكير بالجزاء والجنة والنار.

ثم صحيفة الإنسان يوم القيامة جاء ذكرها في سورة الانشقاق: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ (٦) فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ [الانشقاق: ٦-١٠].

- صحيفة الإنسان التي يُملئها في الدنيا ذُكرت في سورة الانفطار.
 - وصحيفته في البرزخ ذُكرت في السورة التي بعدها سورة المطففين.
 - وصحيفته يوم القيامة ذُكرت في السورة التي بعدها سورة الانشقاق.
- وأنظر في سورة الانشقاق:

- السماوات أذنت لربها وحُقَّ لها أن تأذن وتستجيب.
- الأرض أذنت لربها وحُقَّ لها أن تأذن وتستجيب.
- والإنسان يرى نفسه كيف يقلِّبه الله سبحانه من طبق إلى طبق ولا يملك أن يختار لنفسه ما يلائمه من هذه الأطباق أي الأحوال، فأنت ترى أنك منقادٌ لأمر الله الكوني تمام الانقياد، فلماذا لا تنقاد لأمره الله الشرعي؟ ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الانشقاق: ٢٠] أي هم منقادون تمام الانقياد لأمر الله الكوني يتصرَّف فيهم كيف يشاء، فلماذا لا ينقادون لأمره الشرعي؟ ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٠) وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ﴾ [الانشقاق: ٢٠-٢١] وهنا سجدة كأنها استجابة عملية.

في سورة الانشقاق السماء تنشق استجابةً لله.

﴿ في سورة البروج ذكر أعظم استجابة في الدنيا، بأن تتشقق الجلود وتُحرق من أجل الثبات على توحيد الله كما في قصة أصحاب الأخدود، ذكر الله تعالى فيها أنه مُطَّلَعٌ على الكفار وهم يعذبون المؤمنين، وذكر فيها هذه الاستجابة العظيمة. ذكر أنه مُطَّلَعٌ على الكفار.

○ فجاءت سورة الطارق فيها ﴿إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق: ٤].

﴿ وتحدِّر الكفار ﴿فَمَهْلِ الْكَافِرِينَ أَمْهَلُهُمْ رَوْيْدًا﴾ [الطارق: ١٧]، هم يكيّدون وهذا لا يليق بعظمة الله.

○ فسَبِّحِ الله.. ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١].

﴿ وهذه السورة -سورة الأعلى- سورة عظيمة، كان النبي -صلى الله وسلم- يقرأها في المساجد الكبرى يوم الجمعة وفي العيدين، ويختم بها صلاة الليل فالركعتان قبل الوتر الأولى منهما يقرأ فيها بسورة سَبِّحِ، وهذا التكرار الكثير يدلُّ على أن فيها من الحقائق الإيمانية ما لا يستغني عنه المسلم.

وقد قال شيخ الإسلام في سورة سَبِّحِ: "هذه السورة تضمّنت أصول الإيمان".

﴿ فهذه السورة متنٌ في العقيدة.

﴿ ثم جاء الجزاء في سورة الغاشية ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (٢) عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾

[الغاشية: ٢-٣]، وفي المقابل: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ﴾ [الغاشية: ٨].

هذا الخشوع والذلّ الذي أصاب أهل النار هو بسبب تكبرهم على عبادة الله.

○ فجاءت سورة الفجر تكسر طغيان المتكبرين:

◀ ذكر الله تعالى فيها الأمم التي تكبرت:

■ عاد تكبروا بقوتهم ﴿الَّتِي لَمْ يَخْلُقْ مِثْلَهَا فِي الْبِلَادِ﴾ [الفجر: ٨].

■ ثمود تكبروا بمساكنهم ﴿الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾ [الفجر: ٩]، جابوا معناها قطعوا،

كما قال الله تعالى: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ﴾ [الشعراء: ١٤٩] وليس المقصود أحضروا، وإنما جابوا بمعنى قطعوا.

■ ثم فرعون تكبر بملكه ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾ [الفجر: ١٠].

◀ قال الله تعالى: ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ [الفجر: ١٣]، والذي يُضرب بالسوط

هو العبد المملوك، وهذا فيه كسرٌ لكبريائهم، وفيه أيضاً إشارةٌ إلى أن عذاب الدنيا ليس بشيءٍ أمام عذاب الآخرة، فالذي نزل بهم في الدنيا من العذاب الشديد ما هو إلا كالسوط أمام ما ينتظرهم في الآخرة، ثم السوط يلتفُّ على المضروب به، ففيه إشارةٌ إلى أن عذاب الله محيطٌ بهم.

والإنسان إنما يقع في هذا إذا نسي حقيقة الدنيا وأنها ابتلاء ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ﴾ [الفجر: ١٥].

لاحظ قوله: ﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر: ٢٤] لم يقل: لأخرتي؛ لأن الحياة

الحقيقية هي حياة الآخرة، ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِیَ الْحَيَوَانُ﴾ أي الحياة الكاملة الباقية ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

قال قتادة في قوله تعالى: ﴿يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ قال: "هناكم والله الحياة الطويلة".

في المقابل ذكر الله تعالى النفس المطمئنة خلافاً للنفس الهلوعة الجزوعة ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ [الفجر: ٢٧].

ثم لما ذكر الله تعالى حقيقة هذه الدنيا وأنها ابتلاء، والذي يغفل عن هذه الحقيقة يقع

في الطغيان، جاءت سورة البلد تقرر حقيقةً عظيمة من حقائق الدنيا: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ [البلد: ٤] في مشقة.

◀ أعظم وأشرف مكابدة في الدنيا هي مكابدة النبي ﷺ في هذا البلد حتى فُتح له ﴿لَا

أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ [البلد: ١] أي مكة المكرمة، ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ [البلد: ٢] أي حلالٌ تفعل

فيه ما تشاء وذلك يوم الفتح، وليس الحِلُّ هنا بمعنى الإقامة وأنه حالٌ، فلا يُعرف في اللغة مجيء حِلٍّ بمعنى حالٍ وإنما معناها حلالٌ أي أنت حلالٌ بهذا البلد.

◀ فالكبد يحيط بالإنسان من أول ولادته ولا يسلم منه أحد لا والدٌ ولا ولد.

◀ وقد حثّت السورة على مكابدة الطاعات ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ [البلد: ١١].

◀ ثم تأتي سورة الشمس تحثُّ على تزكية النفوس.

وما دامت الدنيا ابتلاء كما عرفناه في سورة الفجر، وأن الإنسان فيها في كبد كما

عرفناه في سورة البلد؛ فالواجب علينا أن نزكي أنفسنا.

وهذا أطول قسم في القرآن فيه أحد عشر مقسمًا به، والمقسم عليه ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ

زَكَاةً (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا [الشمس: ٩-١٠] وهذا يدلُّ على عِظَم شأن تزكية النفس. ثم من خلال التفكُّر في آيات الله الكونية فالناس مختلفون في زكاة نفوسهم وسعيهم، لما كانوا مختلفين جاءت سورة الليل بعد ذلك: **﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾** [الليل: ٤]. ما المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه في قوله تعالى: **﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى (١) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى (٢) وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (٣) إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾** [الليل: ١-٤]؟

الجواب: كما ترى الفرق الواضح بين الليل والنهار فكذلك من الناس من سعيه كالليل إذا يغشى في ظلمات الشرك والبدع والمعاصي والشهوات، وفي المقابل من الناس من سعيه كالنهار إذا تجلَّى في نور الإيمان والسنة والإخلاص والطاعة.

فالتفاوت بينهما عظيم كالتفاوت العظيم بين الذكر والأنثى، فلما أُريد بيان أن سعي الناس مختلف أشد الاختلاف، جاء ذكر التفاوت العظيم بين الليل والنهار وبين الذكر والأنثى.

فكون كل واحدٍ من الذكر والأنثى له خصائصه وله وظيفته وله عمله، هذا مستقرٌّ في النفوس لا ينكره أحدٌ من العقلاء **﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾** [آل عمران: ٣٦]. **﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾** [الليل: ٤] كما أن الليل مباينٌ للنهار، والذكر مباينٌ للأنثى، فكذلك سعيكم مختلف، فمن الناس من سعيه إلى النار -نسأل الله العافية-، ومن الناس من سعيه إلى الجنة **﴿فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (٧) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾** [الليل: ٥-١٠].

وختم بأعظم جزاءٍ للمؤمن المخلص **﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾** [الليل: ٢١]؛ لأن الرضا هو سر السعادة في الدنيا والآخرة.

ثم ذكر الله تعالى بعد ذلك إرضاءه لنبيه ﷺ **﴿وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾** [الضحى: ١-٢] أي سكن، فهذه سكينه تناسب جو الرضا، والضحى يأتي بعد ذهاب الليل، كما يأتي نور الوحي بعد انقطاعه **﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾** [الضحى: ٣].

وذكر فيها أصول النِّعم على نبيه صلى الله عليه وسلم **﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى (٦) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾** [الضحى: ٦-٨]، وأمره بشكر هذه النِّعم.

ثم سورة الشرح فيها كمال النِّعم على نبيه ﷺ.

فسورة الضحى فيها أصول النِّعم، وأما سورة الشرح ففيها كمال النِّعم من انشراح الصدر، ووضع الإثم والوزر، ورفع الذِّكر، هذه الثلاثة متلازمة، فمن أراد انشراح الصدر فعليه بترك الذنوب.

كيف ينشرح الصدر؟ **﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾** [الشرح: ٧] ينشرح صدرك بأن تمتثل هذه الآية، فإذا فرغت من أمر دنياك فاشتغل بأمر آخرتك، وإذا فرغت من عبادة فاشتغل بعبادة أخرى.

الفراغ إنما يكون لمن في قلبه فراغ، أما المؤمن فهو كما قال مالك بن دينار: **"من عرف الله فهو في شغلٍ شاغل، ويل لمن ذهب عمره باطلاً"**.

ثم ذكر كمال النِّعمة على الإنسان عمومًا بإنزال الرسالات في كل زمان **﴿وَالَّتَيْنِ**

وَالزَّيْتُونَ [التين: ١] هذه إشارة إلى رسالة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، **﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾** [التين: ٢] هذه إشارة إلى رسالة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، **﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾** [التين: ٣] هذه إشارة إلى رسالة نبينا ﷺ، لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم بالفطرة السليمة في الباطن والخلة السوية في الظاهر، لكن بعض الناس لا يلتزم بالشريعة فيُدنّس فطرته ويكون في أسفل سافلين. وقوله: **﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾** [التين: ٥] قيل: أي في النار، وهذا رجّحه ابن القيم في التبيان من عشرة أوجه، أي لما كفر وسفلت أعماله رُدَّ إلى أسفل سافلين. والقول الثاني: أن المقصود بقوله: **﴿أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾** كِبَر السنّ، ورد هذا عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَرَجَّحه الطبري.

وفي الآية قولٌ ثالث وهو قول أبي العالية قال: **"في أسفل سافلين في شرّ صورة في صورة خنزير"** وهذا قد يُستغرب ما معنى **﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾** في صورة خنزير؟ الجواب: المقصود في النار كما قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **"إذا أراد الله ألا يُخرج منها أحداً -أي من النار- غير صورهم وألوانهم فلا يُعرف منهم أحد"** ويشهد لهذا ما في صحيح البخاري: **«أن الله تعالى يقول لإبراهيم إذا شفع في أبيه يوم القيامة: يا إبراهيم انظر ما تحت رجلك، فينظر فإذا هو بذيخ ملتخ»**. الذبيح: ذكر الضبع، ملتخ أي ملوث بالدم، يعني تُغيّر صورته فلا يشفع فيه إبراهيم ويُسرّع إلى التبرؤ منه **«فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار»** -نسأل الله العافية-.

◀ الإنسان إذا أراد حقاً أن يشكر نعمة الله وألا يكون في أسفل سافلين وأن يكون في أعلى عليين فعليه بأن يأخذ بهذا الوحي **﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾** [العلق: ١]. ففي سورة التين ذكر منتهى خلق الإنسان **﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾** [التين: ٤]، وفي سورة اقرأ ذكر مبتدأ خلقه **﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾** [العلق: ٢].
◀ أول سورة اقرأ علم **﴿اقْرَأْ﴾** وآخرها: **﴿كَلَّا لَا تَطِعُهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾** [العلق: ١٩]، فالعلم النافع هو العلم المُثمر للسجود والقرب من الله تعالى.

○ ثم سورة القدر:

◀ تُبَيّن شرف هذا الوحي الذي نزل في ليلة القدر. الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ضَاعَف الثواب في ليلة القدر، بسبب نزول القرآن فعاد الأمر والشرف إلى القرآن.

◀ وهذا القرآن يُخرج من الكفر، لكنهم لا ينفكّون عن كفرهم ويتفرّقون في الدين، فجاءت سورة البيّنة وبيّنت ذلك، والاهتداء إنما يحصل لمن خشي ربه قال في آخرها: **﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾** [البيّنة: ٨]، وانتفاعك بالعلم هو على قدر خشيتك.

◀ ويوم القيامة تنكشف الأمور وتبيّن كما في سورة الزلزلة **﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾** (٢) **﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾** [الزلزلة: ٢-٣] ويحاسب الإنسان على مثقال الذر **﴿يَوْمَئِذٍ﴾**

تَحَدَّثْ أَخْبَارَهَا (٤) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا [الزلزلة: ٤-٥] الآيات.

◀ ثم هذا الزلزال في الآخرة ترى مثله زلزال الحق في القتال في سبيل الله
﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا (١) فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا﴾ [العدايات: ١-٢].

◀ والإنسان كنود جحودٌ لنعمة الله، لا يستعمل هذه النعمة في نصر الدين.

◀ وذكر الله - عز وجل - في هذه السورة خروج الناس من قبورهم يوم القيامة، ثم إذا خرجوا تأتيتهم القارعة تقررهم، فيها الأهوال العظيمة ﴿الْقَارِعَةُ (١) مَا الْقَارِعَةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾ [القارعة: ١-٣]، وفيها المال ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٧) فَأَمَّهُ هَٰوِيَةٌ﴾ [القارعة: ٦-٩].

◀ هل الناس يستعدون للقارعة؟

الواقع أن أكثر الناس ألهاهم التكاثر فجاءت سورة التكاثر: ﴿الْهَٰكُمُ التَّكَاثُرُ (١) حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر: ١-٢].

◀ فيها ﴿ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨] ومن أعظم النعيم أن الله - عز وجل - جعل لك وقتًا تعبده فيه.

○ فجاءت سورة العصر:

◀ ﴿وَالْعَصْرِ﴾ الذي يضيق هذا الوقت يخسر ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ١-٣].

هذه صفات الناجين من الخسارة، فمن اجتمعت فيه هذه الصفات الأربع نجا من الخسارة.

○ في المقابل جاءت سورة الهمة:

◀ فيها صفات الخاسرين: هَمَزٌ وَلَمْزٌ، واغترارٌ بالدنيا، وجمعٌ للمال.

◀ وهذا الهمز واللمز سببه تكبرهم، فهذا الكبر يحطمه الله في نار جهنم ﴿كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾ [الهمة: ٤]، كان يحطم أعراض الناس يهزم ويلمز في الدنيا، فكان جزاؤه أن يحطم في النار، هذا الكبر الذي في قلبه يحتاج إلى تحطيم فحطم في النار.

◀ ثم بعد ذلك جاءت صورة عملية لتحطيم المتكبرين، الذين تكبروا حتى أرادوا هدم الكعبة فحطموا في سورة الفيل ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ [الفيل: ٥].

◀ وهذه نعمة عظيمة على كفار قريش، هابهم الناس بعدها وقالوا: هؤلاء أهل الله يدافع الله عنهم، فتمم الله تعالى عليهم النعمة بنعمة الإيلاف فجعلهم يألفون رحلة الشتاء ورحلة الصيف فلا يعتدي عليهم أحد، ولا يقطع عليهم الطريق أحد، فبسبب هذه النعمة ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ٣-٤].

◀ لكن الواقع أنهم لا يطعمون المسكين، بل يدعون اليتيم، ويمنعون الماعون فجاءت سورة الماعون.

◀ في المقابل ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١] أي الخير العظيم، فأحسن إلى الناس، هذا في مقابل الذين يمنعون الماعون.

هناك في سورة الماعون: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٥]، هنا في سورة

الكوثر ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ [الكوثر: ٢]، أعظم خيرٍ أعطيه النبي ﷺ القرآن، انظر كيف أن هذه السورة وهي أقصر سورة في القرآن اسمها الكوثر، والكوثر هو الخير العظيم؛ فالقرآن مهما تعلّمت من آياته فهو خيرٌ عظيم.

﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣] كما أن الله - عز وجل - يبيّث شأنه فكذلك أنتم تبرؤوا منهم فجاءت سورة الكافرون.

﴿وبتحقيق كمال التوحيد والبراءة من الكافرين يأتي النصر. إذا حققت كمال التوحيد والتبرؤ من الكافرين يأتيك النصر فجاءت سورة النصر بعد سورة الكافرون﴾ ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١].

هنا تمّت وظيفتك ودخل الناس في دين الله أفواجًا؛ إذن استعد للقاء الله. ثم بعد كمال النعمة ذكره الله تعالى بحاله الأولى لما كان وحيدًا بمكة، وقام أبو لهب وردّ على النبي ﷺ وسبّه ودافع الله عنه ﴿نَبَتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١]، الإنسان إذا تذكر حاله الأولى قبل النعمة يزداد شكرًا لله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى.

ثم تأتي خاتمة القرآن وهي مقصود القرآن ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (١) ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ (٢) ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ (٣) ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١-٤] تحقيق التوحيد لله جل وعلا. ثم تحفظ هذا الخير بالاستعاذة بالله من الشرور.

■ فسورة الفلق استعاذة بالله من الشرور الخارجية كالحسد والسحر.
■ وسورة الناس استعاذة بالله من الشرور الداخلية ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ (٤) الَّذِي يُوسُّوسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [الناس: ٤-٦].

﴿خُتِمَ الْقُرْآنُ بِصِفَاتِ اللَّهِ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى رَبِّ النَّاسِ .. ملك الناس .. إله الناس، وافتُتِحَ القرآن بها﴾ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢) ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ٢-٣] هذه الربوبية، ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] المُلْكُ، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥] هذه الألوهية. فعاد آخر القرآن على أوله.

هذا آخر المدارس لهذه المنظومة المباركة. ولم تكن المدارس وقوفًا مع ألفاظها، لكنها مدارسٌ لمقاصد سور القرآن من خلال قراءة هذه المنظومة النافعة جزى الله ناظمها خير الجزاء.

وقد رجعت فيها إلى المراجع التي ذكرها الشيخ الناظم وفقه الله في أول نظمه، وإلى تقارير الشيخ خالد بن إسماعيل حفظه الله في هذا العلم علم مقاصد السور أدام الله نفعه وأجرى الخير على يديه.

نسأل الله تعالى أن يجعل القرآن ربيع قلوبنا، ونور صدورنا، وجلاء أحزاننا، وذهاب همومنا.

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات